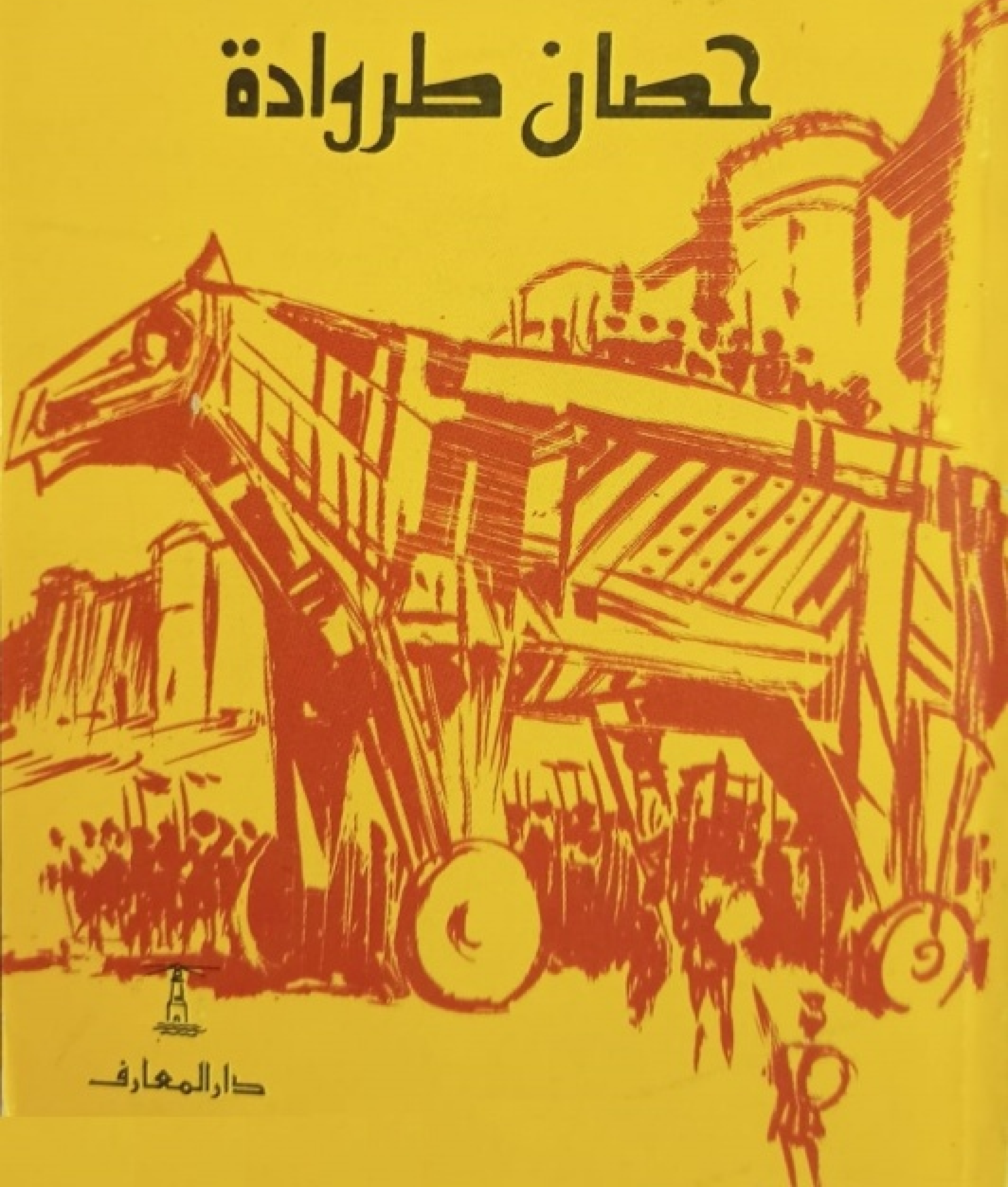
أولادنا

حصان طروادة



دار المعارف

حصَان طرْوادة

أولادنا

٢٣

حصَان طرْوادة

عــن : جـــان نورمان
بقــلم : عادل الغضـبان

الطبعــة الرابعــة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.
هاتف : ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail :maaref@idsc.net.eg



١

كان " فاريس " ابن الملك " فريام " يَحْرُس ذاتَ ليلة قُطْعانَ أبيه، الجاثِمَةَ على مُنْحَدرٍ من جَبَل " إيدا " ، غيرَ بعيدٍ من مدينة " طروادة".

وعلى حين فجأة ، شَقَّ ظلامَ الغابات نورٌ ساطع قوىّ ، كأنما اجتمعتْ فيه أشعةُ الشمس والقمر مَعًا ، بين ذهبية وفضيّة .

وفى وسط ذلك النور الباهر ، لاحت لعينيه ثلاثُ ربّات هُنَّ " هيرا " العظيمة ، و"مينرفا " الحكيمة ، و " فينوس " الجميلَة (١).

---

(١) تسمى أيضاً " الزُّهَرَة " .

وبعد قليل طَرَقَ مسْمَعَه صوتُ " هيرا " ينساب إليه من خلال الأشجار ، عَذْبًا كألحان الموسيقى ، ويقول له :

– " جئنا إليك يا " فاريس " ! يا أجْمَلَ البشَر ! رجاءَ أن تحكم بيننا ، فقل لنا مَنْ مِنَّا نحنُ الثلاث ، أجملُ من صاحَبَتْيها ، وخُذْ هذه التّفّاحة من الذهب ، وقدِّمْها لمن تحْكُمُ لها بالتفوُّق فى مضْمار الجمال " .

ولمَّا فَرَغَتْ من حديثها ، وضعتّ فى كَفِّه تفّاحةً من الذّهب النَّقىّ الخالص .

ثمّ أردفتْ قائلة :

– " أنا " هيرا " ملكة " الأولمب " وزوجة " زَفْس " العظيم كبيرِ الآلهة ، فإن فُزْتُ بقَصَب السَّبْق ، فُزْتَ أنتَ بسُلْطان ما بعده سُلْطان ، فلسوف تصبح ملكاً على بلادٍ واسعة ، ينبسقُ فيهًا الفجر وَرْدِىَّ القَسَمات ، وتغيبُ فيها الشمس ، وراءَ أُفُقٍ من الأرْجُوان ، وتكون أنتَ السِّيِّد المولى ، لمئةِ شَعْب وشَعْب " .

وما إن أنتهتْ من الكلام ، حتى انبرتْ " ميرفا " ربَّةُ الحكمة تقول بصوتٍ صافيٍ رقيق ، كأنه شُعاعٌ من أشعَّة القمر ، فى سكونِ ليلةٍ بغير نجوم :

– " يَجِبُ أن تمنحنى أنا جائزة الجمال ، فلئن فعلتَ وكنتُ أنا حاميتك وصديقتك ، لتكْسِبَنَّ حكمةَ الآلهة ، وليُصْبِحَنَّ عَسِيرُ

الأمور لديك غيرَ عَسِير " .

وكانت الرّبّة الثالثة واقفةً وسط هالَةٍ من نورٍ وَرْدِيِّ اللون ، كأنه أول شعاعٍ من فجر الربيع فقالت :

- " ما قيمةُ السُّلْطان والحكمة يا " فاريس " الجميل ؟ فالحكمةُ والسلْطان أعْجَزُ من أن يمنحا السعادة ، أمَّا أنا فسوف أمنحك الحبّ ، وأجعلك زوجاً لأجمل الجميلات " .

وخَلَبَ لبَّ " فاريس " هذا الجمالُ الباهر المتألق فى وجه " فينوس " ، وشَنّفَ سَمْعه صوتُها العَذْب الناعم ، فقدَّمَ لها التفّاحة .

وأصبح " فاريس بن فريام " بعد هذا هدَفًا لغضب الآلهة ، فقد أقسمتْ كلٌّ من " هيرا " و "ميرفا " فى سُخطٍ ما بَعْدَهُ سُخْط ، لتنتقمنَّ من " فاريس " ومن جميع بنى قومه .

أما " فاريس " فقادته " فينوس " ، عَبْرَ البحار الواسعة ، إلى " إسبرطة " فى بلاد الإغريق .

وكان ملك " إسبرطة " فى ذلك الحين ، رجلاً هُمامًا يُدْعَى " منيلاوس " ، ويعيش فى هَناءَة وسعادةٍ مع زوجته " هيلانة " أجْمَلِ نساء عصرها ، وكان الزَّوجان مُغْتَبِطَيْن أيَّما اغتباط ، بطفلة رُزقاها وسَمَّياها " هرميون " كانت منهما مَعْقِدَ الأنْس والمسرّةَ .

ولما ظهر " فاريس " فى مدينة " إسبرطة " ، استحوذَ على إعجاب الناس ، فقد رأوا فيه المحارب النبيل ، والفتى الجميل ، بعينيه الزرقاوين زُرْقَةَ البحر ، وجدائلِ شعره الأشقر ، تلْمَعُ فوق ثوبه الأرْجُوانى .

ولم يكن الملك " منيلاوس " بأقَلَّ إعجابًا به من رعيّته ، فأكْرَمَ وفادَته ، وأحتفل به احتفالاً كبيراً ، وحينما وقع بَصَرُ " فاريس " على " هيلانة " ، أخِذَ بجمالها الفَتَّان ، ورأى فيها أجملَ نساء الأرض .

و أدركت " فينوس " ما يجولُ فى خاطر " فاريس " ، فربطت " هيلانة " بسِحْرٍ أصبحت بعده لا تُحِبُّ زوجَها ، ولا تَحْفِل بابنتها العزيزة الغالية .

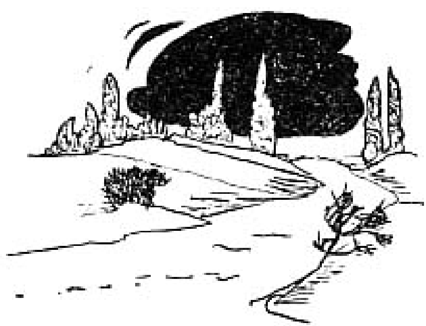
وعندما سمعتْ " فاريس " يُلْقى على سَمْعِها كلماتِ الحبّ والغرام ، ويقترح عليها أن تهرُب معه وتصبح زوجته ، شعرَتْ أنها تُحِبّه ، فلبّت نداءَه فَرِحَةً مُبْتَهِجة ، واستقلَّ المُحِبّان السفينة الطرواديّة ، فسارت بهما تَمْخُرُ عُبابَ الماء ، حتى وصلا إلى أرض " طروادة " .

ولا تَسَلْ عن ألم " منيلاوس " وشديد حزنه ، لمَّا عَرَف أن "فاريس" قد خَطفَ زوجته الجميلة التى كانت تنزل من قلبه فى الصَّمِيم، فذهب إلى أخيه " أجاممنون " زعيم زعماء الإغريق ، يَنْفُضُ له شجونَ قلبه، فانتشر الخبر فى طول البلاد وعَرْضها ، وهَبَّ الرجال من كل حَدَبٍ وصَوْب ، متحفّزين للقتال ، فاجتمع منهم مئة ألف



مقاتل تفوقوا فى نحو ألف ومائتى سفينة سارت بهم تضْرب فى مناكب البحر إلى " طروادة " عازمين عزم الرجال أن يقتصوا من " فاريس " وأهله، وأن يعودوا بالجميلة " هيلانة " إلى وطنها .

ولكن ما أقل منْ عاد منهم إلى بلده ، فقد قدّر للإغريق والطّرواديين أن يقضُوا عشر سنوات فى حرب ضرُوس ، ومعارك دامية ، وآلام مبرِّحة ، وكان سبب هذا كله شؤمَ جمال " هيلانة " ملكة " إسبرطة " .





٢

أقام الإغريق مُعَسْكَرَهم ، وضربوا خِيامَهم أمام أسوار " طروادة " ، وحاصروا المدينة حصاراً شديدا آناءَ الليل و أطْرافَ النهار ، ولم يتراخَوْا فيه قِيدَ أنْمُلَة .

وكانت الحرب حَوْلَها سِجالاً ، والنصر يروح ويجىء بين الفريقين ، يُكلّل هامَ الإغريق يوماً ، ويَجْدُل غاره على رؤوس الطّرواديّين يوماً آخر ، واستمرّت الحال على هذا المِنْوال تِسْعَ سنوات طويلة .

واتّفقَ أنْ هاجمتْ ذاتَ يوم كتيبةٌ من الإغريق مدينة " كريز " ، فأعملوا فى أهْلِها الطَّعْن والضّرْب ، وعادوا منها بأسلابٍ وافرة ، وغنائِم

ثمينة ، فضلاً عن عددٍ كبير من الأسْرَى ، كان بينهم فتاةٌ جميلة تُدْعى " كريزئيس " هى ابنة كاهن عجوز ، يقوم على خدمة هيكل " أبولون " .

راقت الفتاةُ فى عين " أجاممنون " ، فاختارها أَمَةً له ، واكتفى بها عن نصيبه من السَّلَب .

وأقْبَلَ عندئذ الكاهن العجوز يَبْحَث عن ابنته ، ومعه فِدْية ثمينة يفتديها بها ، وكان يحمل بيديه صَوْلَجاناً من الذهب، ملفوفاً بِقِطَعٍ من ثوب " أبولون " مِمَّا يدُلّ على أن الإله الذى كان يخدمه كان راضياً عن عمله ، وموافقاً على ما جاء يطلبه من الزعيم العظيم " أجاممنون " .

فلما مَثُلَ الكاهنُ العجوز بين يَدَىْ " أجاممنون " قال له فى لَهْفةٍ وابتهال :

– " خُذْ يا سيّدى هذه الجزية من خادمك " كريزاس " ، وارْدُدْ علىَّ ابنتى تساعِدْك الآلهة على تدمير " طروادة " وتكتبْ لك العَوْدَة إلى وطنك سالاً غانماً ظافراً " .

فلو كان للإغريق أن يختاروا بين الأمرين ، لآثروا الكَنْز على الفتاة ، غير أن " أجاممنون " تَمَلَّكه الغضب ، وطَرَدَ الكاهن العجوز وقال له :

– " حَذارِ أن أراك أيها الشيخ تَجُرّ قدميك على الشاطىء متجسِّسًا على سُفُنِنا ، وإلاّ فلن ينجيك من غضبى لا الصولجان ولا القِطَعُ

من ثوب الإله ؛ واعْلَمْ أنى لن أرُدَّ إليك ابنتك ، وأنَّها ستعيش وتَهْرَم أمَةً لى ؛ فاذهَبْ وأغرُبْ من وجهى فى الحال " .

ومضى الكاهن الشيخ فى صَمْت وهدوء ، يمشى على طول الشاطىء، عائداً إلى بلده يُشَيِّعه هديرُ الأمواجِ وصفيرُ الرّياح .

سار حزينًا كئيباً ، حتى إذا ابتعد من مَرْمَى الأنظار وصَخَبِ القوم، ركعَ وأخذ يُصَلِّى لربّه " أبولون " ويناجيه قائلاً :

– " أيها الإله العظيم يا صاحبَ قوس الفضّة !. إنى أرفع إليك هذه الكلمات ، فاستمعْ لى واستجبْ لندائى . لقد بَنَيْتُ لك هيكلاً حاز رضاك وراق فى عينيك ، وأحرَقْتُ من أجْلِك لحمَ البَقَر والعُجُول ، فاجعل الإغريق يكَفِّرون أشَدَّ التكفير عن عَبَراتى المسفوحة ، وانتقمْ لى يا أقوى الأقويا ، وأمْطِر الأعداء بِسِهامك القاتلة يا " أبولون " ! "

سَمعَ " أبولون " دُعاء خادمه وهو فى قِمّة " الأولمب " ، فامتلأ قلبه حَنَقًا وغضباً .

وفى ظلام الليل البَهيم ، نزل هذا الإله من عَلْيائه إلى حيثُ كان " أجاممنون " وجيشه مُخْلِدِين إلى الراحة والاستجمام ، فوقف على مَقْرُبَة من السُّفُن ، وأطلق سَهْماً من سِهامه ، فسُمعَ لقوسه الفِضّية دَوِىٌّ هائل .

وتوالت سِهامُه ، وترامتْ تَحْتَها الخيل والكلاب أولاً ، ثم تساقطت بعدها جماعات الرجال .

وعاش الإغريق تسعة أيام كانوا فيها هدفاً لانتقام " أبولون " ، فتراكمت الجُثَث على المحَارِق فى تلك الأيام التسعة ، وساقت الرياح آكامَ الدُّخَان إلى عُرْضِ البحار .

وفى اليوم العاشر ، دعا رئيس من رؤساء الإغريق مَجْلِس الحرب إلى الانعقاد ، وكان هذا الرئيس يدعى " أخيل " وينتسب إلى أب محارب من البشر ، وأمَّ من الرّبَّات ، وكان بَطَلاً مِقْداماً معروفاً بالشجاعة والبسالة وخفّةّ الحركة .

فلما أكتمل عقْدُ المدعوّين ، وقف فيهم خطيباً وقال :

– " إن الحرب والوباء يَفْتُكَان بنا فَتكْاَ ذَرِيعاً ، فعلينا أن نلتمس أحدَ الكهنة ، أو أحدَ العَرَّافين ، ونطلب إليه أن يسأل " أبولون " ما سَبَب هذا الغضب " .

فنهض على الأَثَر " كلخاس " أعْلَمُ العَرَّافين وقال .

– " لم يَجُرَّ علينا هذا البلاء إلا " أجاممنون " ، فقد أساء كلَّ الإساءة إلى " كريزاس " كاهن " أبولون " ، ولسوف يَظَلّ هذا الإله يرمينا بسهامه المسمومة ما دامت " كريزئيس " صاحبة العينين الجميلتين بين ظَهْرَانَيْنا ، نستأثر با ولا نردُّها إلى أبيها خالصةً من أية جزْية وهَدِيّة كانت، فأعيدوا الفتاة غلى وطنها ، وأرسلوا معها مئة رأس من البقر تُقَدَّمُ قُرْباناً منكم على مَذْبَح الإله الغَضُوب ، تأمنوا جانبه وتفوزوا برِضاه " .

أنهىَ العرّاف كلامه وجلس ، فوقف " أجاممنون " العظيم بادِىَ الغضب ، برّاقَ العينين وقال :

– " ما أسْوأكَ عَرّافاً يا " كلخاس " فما أنت الاَّ نَذِيرُ شؤم تجُرّ علينا كلماته الويلات والكوارث ، فاعلم أنى لا أعْدِل بالفتاة أية جِزْية مهما عَظُمَتْ ، فهى منى سُوَيْداء القلب وإنسانُ العين ، غير أننى أنْزِل عنها مع ذلك راضياً ، ولا أمانع فى إعادتها إلى أبيها ، إنقاذاً لشعبى من الهلاك والوَبال ، ولكن ماذا تُعْطونى بَدَلاً منها ؟ فهل أكون بين الإغريق ، الرجل الوحيد الذى حُرِم مكافأته ؟ إن هذا ليس من العَدْل فى شىء " .

– فقال عندئذ " أخيل " :

– " على رِسْلِك يا " أجاممنون " ، فإنك لَمِثال الشَّرَه والجَشَع ، إنك لتعلم أنْ ليس فى خزائننا من الأسْلاب ما نُعَوِّضك به عمَّا فقدت ، فلقد تقاسَمْنا جميع الغنائم حتى لم يَبْقَ منها شىء ، فأعِد الفتاة إلى أبيها ، وانتظرْ هَجْمَةً جديدة نقوم بها على بُقْعَة من البِقاع ، يكُنْ لك منها أثْمَن السَّلَب " .

فرَدَّ عليه " أجاممنون " قائلاً :

– " أتَسْعَى إلى أن تُثِير بيننا الشِّقاق والشِّجار يا " أخيل " ؟ أتفكّر فى أن تسلبنى نصيبى من المكافأة ، ولا تعوّضنى عنه بشىء ؟ إن شرفى ليتقاضانى فى هذه الحال ، أن أستولى على حقى قَسْراً وعَنْوَة من

أىّ مصدر كان ، فلسوف آخذه من نصيب " أوذيس " أو أى محاربٍ آخر وليكن ما يكون ... ولكن دَعْنَا من هذا الآن ... هَيَّا نُعِدَّ السفينة التى ستحمل " كريزئيس " صاحبة الخدّ الأسيل إلى أهلها ، وتحمل معها الأنعام التى سنقدمها قُرْباناً على مَذْبَح إله السهام " .

فنظر إليه " أخيل " نَظْرَةً شَزْراء وقال :

– " أيُّها المنافق الماكر ! لقد تركتُ مملكتى من أجلك ومن أجل شقيقك " منيلاوس " ، وركبت البحر الواسع إلى هذه البلاد ، حتى أشُدَّ أزْرَك وأحارب معك أهل " طروادة " ، فماذا كان جزائى منك على حَمِيَّتى ونجدتى ؟ لا شىء سوى وعيدك بأن تَسْلُبَنى ما كَسَبْتُ بعد ركوب الأهوال ومغالبة الصعاب ، فلقد عزمْتُ أن أرحل عائداً إلى بلدى ، فما عُدْتُ أطِيق أن أخوضَ غَمَرات القتِال ، فى سبيل رجل طَمَّاع جَشع ، كل هَمِّه أن يكون جَمّاع كنوز ورَبَّ ثَراء " .

فقال " أجاممنون " :

– " أرْحَلْ إذا شئت ، فمعى هنا محاربون أشِدّاء لا يَقِلّون عنك شجاعةً وبَطْشاً ، وهم كلهم حُكّامٌ عُدوُل ، يُحِيطونى بالتَّجلَّة والإكرام... إنك تحقد علىّ يا " أخيل " ، وكلنا نعرفك طَلاَّب خِصام ، وصَيَّاد نِزاع، ومام أنا من يَحْفِل بك وبغضبك ، فاسمعْ ما أقول وأستوعِبْه: سأذهب أنا نفسى إلى خيمتك ، وأخْطَف منها " بريزئيس "

أجْمَلَ أسيراتك ، فتعلم عندئذ أن " أجاممنون " هو السيِّد ولا سيِّد سواه " .

استشاط " أخيل " غَضَباً عند سمَاعه هذا الكلام ، فاسْتَلَّ سيفه ، وكاد يهوى به على " أجاممنون " فُيرْدِ يه قتيلاً ، لولا أن أمسكتْ بذراعه " ميرفا " ربّة الحكمة ، فقال لها وشَرَرُ الغضب يتطاير من عينيه :

– " ما الذى جاء بك إلى هنا يا رَبَّة الحكمة ؟ أجئتِ تَشْهَدِين وقاحة " أجاممنون " ؟ إذن فاعلمى أن غروره سُيؤدى به إلى التهْلُكة ، وينتزع منه نعمة الحياة " .

فقالت " ميرفا " بصوت رقيق هادىء :

– " أقبلت إليك من أعالى " الأولمب " لأحْمِلَك على تهدئة ثائرتك ، وتلطيف حِدَّتك ، فالإهانة التى لحقتْ بك ستُعَوَّض عنها فى يومٍ قريب بأسْنَى الجَزاء ، فاخْفِض يَدَك ، وأجبنى إلى ما طلبت " .

فقال " أخيل " وقد خمدتْ نار سُخْطه :

– " سَمْعًا وطاعةً يا ربَّتى " .

فأعاد سيفَه إلى قِرابه ، وهو يَكيِل السباب لغريمه " أجاممنون " ويقول له :

– " يا وَجْهَ الكلب ويا قَلْبَ الوَعْل ! إنك فى مجال الطِّعان

تُرَى دائماً فى المؤخِّرة ، ولكنك عند تقسيم الغنائم تقفز إلى المقدِّمة ، لتظفر بالنصيب الأوْفَى دون المحاربين الشجْعان الذين عرّضوا أنفسهم للهلاك فى سبيل الحصول عليه . لقد سَكَتَ هؤلاء عنك طويلاً ، فلو أستمروا فى السكوت عن طُغْيانك لعَدَدْتُهم من الجُبَناء ، فيحقِّ هذا السيف الذى كِدْتُ أقتلك به ، إن يوم الفَصْل لقريب ففى ذلك اليوم سوف يَقَعُ الإغريق تحت ضَرَبات " هكطور " قَتَّال الرجال ، وسوف يفتقدوننى فى ساحة الهيجاء فلا يجدونى ، فيَعْصِر نفوسهم الأسف والندم ، وتذوب نفسك أنت حَسْرَةً وألَمًا على أنْ حقَرْتَ شأنى ، ففقدتَ بى أمْهَرَ الرُّماة ، وأشجعَ الشُّجْعان " .

قال هذا ورمى إلى الأرض بعصاهُ المُحَلاَّة بمسامير الذهب ، فى حين كان " أجاممنون " جالساً والغضب يُقِيمه ويُقْعِدُه .

وتدارك " نسطور " الموقف ، وهو محاربٌ شيخ يبلُغُ من العمر مئة عام ، وتوسَّط بين الغريمين ، وحاول أن يُهَدِّى من رَوْعِهما ويحملهما على الصلح والمصافاة ، فذهبت مساعيه أدراجَ الرياح .

واستأنف " أخيل " الكلام فقال :

– " إنك تستطيع أن تسلُبَنى أسيرتى " بريزئيس " الجميلة ، فليأخذها الإغريق وليستردوا ما وَهَبُوا ، ولكن حَذَارِ أن تفكر فى أمر سواها مما أحفظ وأملك ، وإلاّ أسَلْتُ دمك الأسود على سِنان رمحى ".

وارفضّ المجلس وتفرّق االزعماء .



وبعد قليل أبحرتْ من الميناء سفينة سريعة ، تحْمِلُ على ظهرها " كريزئيس " الجميلة ذات الخدّ الأسيل ، وتحْمِلُ معها مئة رأس من البقر هى القُرْبان المقدَّم من الإغريق إلى مذبح الإله " أبولون " .

وتولى " أوذيس " قيادة السفينة ورياسة المُجَذِّفين ، حتى قرَّت عين الكاهن العجوز برجوع ابنته العزيزة إليه .

أما " أجاممنون " فقد دعا إليه بعد إرفضاض المجلس ، جماعةً من أعوانه وقال لهم :

– " اذهبوا إلى خيمة " أخيل " وأتُونى بأسريته الجميلة " بريزئيس".

فأطاعوا الأمر على كُرْهٍ منهم ومَضض ، وساروا على مُحاذاة الشاطىء إلى المكان الذى ضُربَتْ فيه خيمة " أخيل " فوجدوه جالساً فوق صخرة على مَقْرُبةٍ من مُجْتمَع السُّفُين ، هائجَ الشُّعور ، مضطِّربَ الفؤاد ، فلما رآهم عَرَف المهمّة التى دفعَتْهُم إليه فقال لهم :

– " مَرْحَبًا أيها الإخوان . . . فأنتم فوق كل عَذْلٍ ومَلاَم . . . وإنما غريمى هو " أجاممنون " الذى أرْسَلَكم لأخذ أسيرتى الحسناء ، فخُذُوها ، ولكننى أحْلِفُ لكم حِلْفَةَ صادِق ، وأنتم شُهُودٌ علىّ ، أنْ لو أحتاج يوماً إلى ذراعى ، ليُنْقِذ جيشه من هزيمة محقَّقَة نَكْراء ، وأهابَ بى إلى معونته ، لأعَرْتُهُ أذُناً صّماء ، ولما خطَوْتُ إليه خُطْوَةً واحدة " .

ومشى القوم بالفتاة ، وهى آسِفة حزينة ، ونظر إليها " أخيل "

وهى تبتعد ، وفى قلبه مِثْلُ ما فى قلبها من غَمٍّ وكآبة .

ثم أدار " أخيل " بأبصاره إلى البحر الهائج الزَّخَّار ، وإلى أمواجه العالية المتلاطمة ، ورفع كفَّيْه متوسِّلا ، كأنه طفل يُصَلِّى ، وصاح يستنجد بأمّه" تيتيس " صاحبة القدَمَين الفضيتين وابنة ملك البحر.

سَمِعتْ أمه صيحتَه ، فخرجت من أعماق البحر ، خفيفةً كالهواء ، وأقبلتْ تجلِس قُرْبَ ابنها المتألم الباكى فأمسكت بكَفّه فى رِفْقٍ وحَنان ، وقالت له بصوتٍ حُلْوٍ ورقيق :

– " لماذا تبكى يا ولدى ؟ وأىّ شَجَنٍ يَجيشُ فى حناياك ؟ أفْضِ إلىَّ بشؤون قلبك " .

فقَصَّ عليها قِصَّة شِجارِه مع " أجاممنون " ، فعصف الألم بفؤادها ، وثارت نَفْسُها على الإهانة التى لحقتْ بابنها فقالت :

– " يا ولدى الحبيب ! إن القَدَرلم يمنَحْك إلا حياةً قصيرة ، فلا أقَلَّ من أن تخلو هذه الحياة القصيرة من الأوجاع والآلام ، ولسوف أعمل ما فى مقدورى على أن أجنّبك المرارة والشكوى " .

ثم غابت عن بصره .

وفى فجر اليوم التالى ، غادرت قصرها فى أعماق البحار ، وصعدتْ إلى " الأولمب " وَمثُلَتْ بين يدى الإله " زَفْس " ربّ الأرباب ، وابتهلتْ إليه قائلة :

– " يا أبانا " زَفْس " يا ربَّ الأرباب ! لئن كان لى فى حسابك

صنيعٌ حَمِيد قُمْتُ به من أجلك على الأرض ، أو كانت لى فى ذلك الحساب كلمة حق قُلْتُها فى سبيلك ، فاسمع دعائى ، وتلطَّفْ وحقِّق ما أسالك من رجاء :

إن ولدى ، وحياته مُقُدَّرٌ لها أن تكون قصيرة ، قد أهين ، فأتوسَّل إليك أن تَثْأر له ، وأن تَمْسَحَ عنه عار الإهانة ، امْنَح الطروادين النصرَ طوالَ إنصراف ولدى عن القتال ، أنِلْنى هذا الرجاء حتى يُضطَّرَّ الإغريق إلى الاستنجاد به فينتصروا على يديه ويكللوه بغار المجد والتعظيم ، ويمحوا بذلك ما أصابه به " أجاممنون " من مَذَلَّةٍ وهَوان " .

فحَنَى " زَفْس " رأسه علامةَ للقَبُول والاستجابة ، واندفعت "تيتيس " فى خِفَّة الطير عائدةً من قِمّة " الأولب " إلى قصرها فى أعماق البحار.





٣

كان الآلهة والرجال فى تلك الليلة ، آخذين قِسْطَهم من الراحة ، مستسلمين إلى نوم عميق ، ما عدا " زَفْس " سيِّد " الأولمب " ، فقد كان ساهراً يفكّر فى وسيلةٍ يُشَرِّف بها " أخيل " ، وتضمن له أسباب التبْجِيل، فقَرَّ قرارُهُ فى آخر الأمر ، على أن يُرْسِل طَيْفاً إلى " أجاممنون" ، يُوقِظهُ من رُقادِه إذا كان نائماً ، ويُدْلِى إليه بما يريد .

فنادَى أحَدَ الأطياف ، وهؤلاء هم الرسل الذين يُوحُون إلى الناس برَغَبات الآلهة ، وقال له :

– "طِرْ أيها الطَّيْف الخادع إلى مجتمع سفن الإغريق ، وادخُلْ

خيمة " أجاممنون " ، وانقلْ إليه هذه الكلمات فى وفاء و أمانة ، وقل له :
أيُّها البطل ، نادِ محاربيك و أجْمَعْهُم تحت السِّلاح ، فسقوط " طروادة " فى أيدى الإغريق قد حان ، ويوم النصر قد اقترب " .

وطر الطَّيْف بعد سَماع كلمات " زَفْس " ، ودخل خيمة " أجاممنون" متنكّراً فى زِىّ المحارب الشيخ الذى حاول بالأمس أن يَحْسِم الخلاف بين " أجاممنون " و" أخيل " ، فوقف عند رأس الزعيم النائم ، وخاطبه قائلاً :

– " أتَنام يا " أجاممنون " ؟ أيَلِيق برئيس جيش كبير أن يستسلم إلى الكَرَى طولَ لليل ؟ إن " زَفْس " ربَّ الأرباب قد بعثنى إليك ، وطلب إلىّ أن أبلغك رسالته وهذه هى : سارِعْ بجنودك إلى القتال ، فقد دنت الساعة التى ستستولى فيها على " طروادة " .

وعاد الطَّيْف أدراجَه طائِراً إلى جبال " الأولمب " ، كأنه قِطْعَة من سَحاب .

واستيقظ " أجاممنون " ، ولا يزال هُتَاف الطَّيْف يرنّ فى أذنه ، فوَثَب ناهضاً من فراشِهِ وارتدى ثوبه ومِعْطفه الثمين ، وانتعل مَداسَه ، وتقلَّد سيفه ، وتناول صَوْلجانه ، ومضى يُغِذُّ فى السَّير إلى مَرْسَى سفن الإغريق لِعَقْدِ مجلس الحرب .

وانعقد المجلس ، واشرأبَّت إليه الأعناق وهو يحدّثهم ، ويُفضِى إليهم برسالة " زَفْس " التى نقلها إليه الطَّيْف فى مَنامه ، وختمها قائلاً :

– ” إن ربَّ الأرباب يقول لنا : ليَخِفَّ الإغريق إلى السلاح فالنّصر لهم ” .

فوقف عندئذ المحارب الشيخ الذى تنكَّر الطَّيْف فى زِيِّه ، وصاح فى المجتمعين :

– ” أيّها الرّفاق ! لو أفْضَى إلينا أحد غير ” أجاممنون ” بهذا الحديث ، لقلنا أنه يخدعنا ، ولكن المتكلم إنما هو رئيسنا الأعلى بل هو ” زَفْس ” نفسه يحدثنا بلسان ” أجاممنون ”، فإلى السلاح إذا إلى السلاح” .

وأراد ” أجاممنون ” أن يَعْجُم عُودَ رفاقه من الزعماء ، ويعرف مبلغ عزمه على استئناف القتال فقال :

– ” أيّها الأصدقاء ! إن ” زَفْس ” خدعنا ، أتذكرون كيف وعدنا، بانحناءة من رأسه ، يوم ركبنا السّفُن ، بأن يكون النصر حليفنا ؟ وها هى سنوات تِسْع تمُرّ علينا ، ونحن أبْعَدُ ما نكون من النصر ، حتى لقد قَرَض السُّوس خشب السفن ،وتفتّتت منها الحبال فاستحالت تراباً . إن نساءنا وأطفالنا قابِعون فى ديارنا ، ينتظرون رجوعنا ظافرين منتصرين ، ولكن أين النصر ؟ فما نحن منه بأقربَ من اليوم الذى ألقينا فيه المراسى، ونزلنا هذه الشواطىء ، فخذوا بنصيحتى أيها الأخوان ، ولنركبْ سفننا عائدين بها إلى بلادنا الحبيبة ، فالاستيلاء على ” طروادة ” ، ضَرْبٌ من المُحال ” .

هكذا تكلم " أجاممنون " فأثار النفوس ، وألقى بها فريسةً للقلق والتردّد والاضطراب ، ولم يتبيَّن أَحَدٌ مرماه الخفىّ ، وسرّه المغْلَقَ ، وسَرَى الخبر إلى الجيش ، فهاجَ وماجَ كأنه أمواج البحر تتلاعب بها هُوج الرّياحِ ، أو كأنه حَقْلٌ من القمح يَشْنى النسيم منه السنابل ، وما هى إلا لحظات حت دَوَّى صياحُ الجند ، وشَقَّ عَنان السماء ، وهُرِعُوا إلى المراكب، واستقلُّوها وتأهّبُوا ، فى فرحٍ وغِبْطة ، للسَّيْر بها على صفحات الماء عائدين إلى الوطن .

وكاد الإغريق يَرْحَلون ، وهَمَّ الملاَّحون بأن يُعْمِلوا المجاذيف فى كبَدِ البحر ، فسارعت الرَّبَّة " هيرا " إلى الرَّبَّة " مينرفا " وقالت لها :

– " أنتركُ الإغريق يلُوذُون بالفِرار على هذا النحو؟ أىّ عارٍ يلْحَق بنا لو بقيتْ " هيلانة " فى " طروادة "

ونجا " فاريس " من العِقاب ؟ فهيّا إذنْ إلى العمل ، وأسمعى المحاربين كلماتك المعسولة ، وأقنعى كل محارب بالبقاء ، وامنعى الإغريق من أن يركبوا البحر " .

هبطتْ " مينرفا " ذات العينين الزَّرْقاوتين من " الأولمب " ، ووصلتْ إلى حيثُ كانت السُّفُنُ تتأهّب للرحيل ، فلقيت " أوذيس " الرجل الفّطِن الحَصِيف ، ورأته ساهِماً مهموماً ، وأدركتْ ما يجولُ فى فؤاده من هَمٍّ مبَرّح فقالت له :

– " أصحيح يا " أوذيس " أنك هارب إلى بلدك ؟ أيَرْضَى إذنْ " أوذيس " الشجاع أن تبقى " هيلانة " فى أرض " طروادة " وأن يجرّ



الطّرواديّون ذيول الزَّهْو والفَخار فى هذا الشأن ، بعد ما أرِيق فى سبيلها ما أرِيق من دم الإغريق الزّكىّ ؟ لا . لا . ما إخالُك ترضى عن هذا الهوان، فأسرع فى تدارك الأمر ، وادْعُ الجنود إلى البقاء " .

فَعَلَ صوت " مينرفا " فِعْلَ السِّحْر فى فؤاد " أوذيس " ، فخَلَعَ مِعْطَفه وجَرَى رَكْضاً إلى " أجاممنون " ، فانتزع منه صَوْلجانه دليلَ رِفْعته وعَظَمته ، وأخذ يطوف بالمعسكر وقِطَع الأسطول ، وكان كلما قابل زعيماً من الزعماء ، تلطَّف فى الحديث معه وقال له :

– " لا تضطَّرِبْ يا صديقى فما أنت بالرجل الجَبان . إن وراء كلام " أجاممنون " لأمراً خَفِيًّا . لقد شاء أن يَسْبُر غَوْرنا ويعلم مقدار تصميمنا على القتال ، فإذا لم تَعُد إلى جندك فسوف تُثِير غضبه عليك " .

وكان " أوذيس " إذا لقى رجلاً من سَواد الجند هارعاً إلى السُّفُن ضربه بعصاه وقال له :

– " ابْقَ يا هذا حيث أنت ولا تكن جباناً . إن " زَفْس " قد وهبنا رئيساً واحداً فأطعْ أمره " .

وما زال يُهِيب بالجند والقادة على مثل هذه الحال ، حتى استرجعهم من الشاطىء ، ووجّههم إلى خيمة الرئيس ، فاجتمع عندها خَلْقٌ كثير ، وجلسوا فى صمت وسكون ينتظرون ما سوف يُسْفِر عنه هذا اللقاء وقَطَع حَبْلَ الصمت صوتٌ أجَشّ ارتفع من وسط الجماهير

إنه صوت " ترسيت " الأعْرَج الأصْلَع ، الدَّميم الوجه ، المُقَوَّس الكَتِفين، فقال يخاطب " أجاممنون " ويُسْمِعه قوارِص الكَلِم :

– " مِمَّ تشكو أيضًا يا رجل ؟ إن خيامك مملوءة بالأسلاب التى غنمناها نحن وقدّمناها لك ، فماذا تريد فوق ذلك ؟ وأنتم يا بنى قومى لأخْلَعَنَّ عنكم صفة الرجال إذا لم تقرروا العودة إلى أوطاننا ، وتتركوا هذا الرجل يحتضن الكنوز التى كسبناها له . لقد أهان " أخيل " البطل الصِّنْدِيد و" أخيل خير منه ، وأحْصَف رأيًا ، وأشْجَعُ فؤاداً " .

فهب " أوذيس " النبيل واقفاً ، واخترق الصفوف إلى " ترسيت " وقال له فى جفْوَةَ وصرامة :

– " اسكت يا رجل ، وحَذارِ أن أسمعك مرة أخرى تجدّف بمثل ما جدّفت به الآن ، وإلاّ أشبعتك ضرباً وطردتك شَرَّ طَردْ من هذا الاجتماع".

وأتبع " أوذيس " القول بالعمل ، فضربه بعصاه على ظهره وكَتِفيه حتى أدمها ، فجلس المسكين وهو يتلوَّى ألمًا ، وطأطأ رأسه ومسح دمعة انحدرت على خده . فقهقه الجند ضاحكين ، على ما بهم من قلق ، وقالوا :

– " إن " أوذيس " لصاحب أعمال باهرة ، ولكن أحسنها أثراً وأجملها وقعاً ، هذا العمل الذى أخرسك به وأدّبك به أيها الثرثار الوقح".

واستأنف " أوذيس " الحديث فقال مخاطبًا " أجاممنون " :

– " ما من شكّ فى أن الإغريق يريدون أن تكون اليوم أحْقرَ الملوك شأنًا. إنهم ينتحبون انتحابَ النساء والأطفال فى سبيل الرجوع إلى وطنهم، ولا جدال فى أننا جميعًا نوَدّ لو نعود إلى ديارنا بعد أن غبنا عنها تسع سنوات ، ولكن أليس من العار نسْلُخ هذه السنوات فى حرب ضَرُوس، ثم نرجع منها صَفْرَ الأيدى ، فاصْبروا قليلاً أيها الشّجعان ، واشْحذُوا غِرار عزائمكم تسقطْ " طروادة " فى أَيدينا .

هل تذكرون اليوم الذى ركبنا فيه غارِبَ البحر إلى "طروادة " ؟ وهل تذكرون المشْهد العجيب الذى قُدِّر لنا أن نراه ؟ ها أنا ذا أذكركم به :

كنّا نقدّم الذبائح إلى الآلهة عند سفْح دَوْحة عظيمة و

حول نبعة صافية ، فرأينا حيَّة رَقْطاء ، وعلى ظهرها بُقعٌ من الدم، تقفز من المذبح إلى الدَّوْحة ، وكان فى قِمّة الشجرة عُشٌّ فيه ثمانية طيور صغار ، وكان تاسع تلك الطيور أمّها التى بَسَطَتْ جناحها فوق أفراخها فوثبت الحيّة إلى العُشّ ، والتهمت الفِراخ الثمانية ، ثم ثنَّتْ بالأمّ فابتلعتها وكانت ترفرففوق صِغارها حزينة متألمة ، ولكن شأت الآلهة أن تتحوّل الحية بعد ذلك إلى قِطْعة من الحجر .

ذلِكُم المشهد ، وضعته الآلهة تحت أعيننا رمزاً إلى مُسْتَقْبل كنّا مُقْبِلين عليه ، ولقد فسَّرَه لنا عرّافنا " كلخاس " فقال : ستحاربون فى " طروادة" تسع سنوات عدَدَ الطيور التسعة التى التهمتها الحية ، فكل طائرٍ بسنة ، فى السنة العاشرة تقع " طروادة " بين أيديكم كالثمرة

الناضجة . فلْنبْقَ إذنْ يا إخوان حتى نحقّق أملنا المرجوّ " .

فقابل الإغريق خطاب " أوذيس " بالتصفيق والهُتاف ، وَوَصَلَ رَجْعُ الصَّدَى إلى أواسط البحار .

ونهض " أجاممنون " يخاطب الجند :

– " اذهبوا الآن ، وتناولوا طعام الأفطار ، واستعدوا للمعركة . وليشحَذْ كلٌّ منكم رُمْحه ، وليُعِدَّ تُرْسه ، وليسْهرْ على عَلَف الخيل وحُسْن حال المركبات . ولئن حدَّثت أحدكم نفسه بالبقاء بعيدًا من المعركة والاختبَاء على مقْرُبة من السُّفُن ، ليكوننَّ طعامًا للكلاب وجوارِح الطيور " .

فرَدَّ الإغريق على الخطاب بهُتاف دَوَّى كالرعد ، ثم تفرقوا وأوقدوا النيران ، وأعدّوا الطعام ، وقدّموا للآلهة القرابين ، راجين منها أن تُنْجِيهم من الموت فى المعركة المُقْبِلة .

وذَبح " أجاممنون " بقرة ثمينة ، وقدَّمها قربانًا للإله " زَفْس " وناجاه بهذا الدعاء :

– " أيها الإله " زَفْس " العظيم ! أنت يا منْ يَجْمَع السُّحُب ويَجْعَلها رهْنَ إشارته ، مُرِ الشمس ألاّ تغيب قبل أن نَهْدِم قصر " فريام" ونُشْعِل النار فى أسوار " طروادة " " .

ولكن " زَفْس " لم يكترثْ لدُعائه ولا وَعَد بالاستجابة له .

واحتشد الإغريق ، ونظَّمُوا صفوفهم للمعركة ، وجالت " مينرفا "

ربّة العينين الزّرْقاوين بين الجنود ، تشجّعهم وتنفخ فيهم روحَ البسالة والإقدام ، وتحثُّهم على القتال والنصر .

وتحرك الجيش ، ولمع تحت أشعّة الشمس بريق السلاح ، كما يلتمع اللهَب فى حريق يأكل الأشجار والغابات ، و انتشرت الكتائب فى جوانب السهل انتشارَ قُطْعان الإوَزّ البَرىّ حين تتطاير فوق المُرُوج زَرافاتٍ ووُحْدانًا .

وبلغت الجَلَبَة منتهاها ، ورجّعت الأرض من تحت أقدام الرجال وسَنابك الخيل دَوِيًّا يشبه الزّئير ، وما زال الجيش يسير قُدُمًا إلى غايته ، حتى أعترضه نهر " ساكامندر " فتوقف يستريح على طول ضِفافه .





٤

تقدم الطّرواديّون إلى لقاء الإغريق ، وتأهَّبُوا لخوض المعركة ، فامتلأ الفضاء بعَجِيجهم ، وغصَّت الساحات بكتائبهم الكثيفة ، هادرةً كالموج، زاحفةً كعَصَائب الطَّيْر عندما يطردها أوّل مطر الشتاء فتجنَح إلى جِواء البحر .

وكان الإغريق يسيرون إلى لقائهم متلازمين كالْبُنْيان المرصوص ، يتحرَّقون شوقًا إلى القتال وإلى النصر .

وكانت سحائب النَّقْع الذى تُثِيره أقدامهم تَلُفُّهم فى طيَّاتها يَبيون ، مِثْلَ الضَّباب الذى يتصاعد من قِمَم الجبال ، فيحجب

الرؤية إلى أبْعَدَ من رَمْيَة حجَر .

وأخيرًا التقى الجيشان وجْهًا لوجه ، وخرج من صفوف الطّرواديّين رجلٌ جميل القَسَمات ، متألِّق البشرَةَ هو " فاريس " الذى خَطِفَ من " منيلاوس " أعَزَّ من عنده فى هذه الدنيا .

وكان على كَتِفَيْه جِلْد فَهْد يعلوه قوس وسيف ، فوقف وِقْفَةَ المقاتل، وسدّد سهمًا من سهامه إلى غير هَدَف ، وطلب أن يُنازِله نِزالَ رجل إلى رجل أشْجَعُ الإغريق وأقواهم .

وحين رآه " منيلاوس " سَرَت الفرحة فى أجلاده ، وأنقلب إلى أسَد جائع ، يرى الفريسة مُقْبلةً إليه فيُمَنّى النفس بالشحم واللحم .

إن " فاريس " هذا صاحب العينين الزَّرْقاوين ، والجائل الشُّقْر ، هو عدوه اللَّدُود ، فيا لها من فرصة سانحة يحاسبه فيها على ما ارتكب حسابًا عسيرًا ، فقفز من مركبته وهو مُدَجَّج بالسّلاح ، ومشى إلى لقاء خَصْمه العَنِيد .

وعندما رأى " فاريس " أن الرجل الذى أقبل ينازله هو زوج " هيلانة " التى أختطفها منه وجلله بالعار ، اضطَّرب قلبه ، وخانته شجاعته ، وهرب راجعًا إلى صفوف الطرواديّين كالمسافر الذى يلتقى بحيَّة من الحيّات فى بعض دُروب الجبال ، فتعلو وجْهَه صُفْرَة الهَلَع ، ويُطْلِق ساقَيْه للرّيح هَرَبًا منها .

فهُرِع إليه أخوه " هكطور " وعنّفه تعنيفًا شديدًا وهو يقول :

– " ياللعار ! أليس فيك من حين الصفات إلا وجهك الجميل ؟! أتريد أن يَسْخَر منا هؤلاء الإغريق أصحاب الشعر الرَّسِيل ، ويحسبوك خِلْوًا من القوة والعزم والبسالة ؟ أجبان أنت ؟ أوَلستَ أنت الذى اجتزت البحار منذ حين وذهبت تَخْطَف أجمل الجميلات من زوجها ، حتى رميتنا فى رِبقْة الرزايا والأهوال ؟ إن قيثارتك ، وشعرك الأشقر ، ووجهك الصَّبيح ، وكل ما وهبتك إياه " فينوس " من أسباب الجمال ، لن ينفعك فى شىء إذا كان عليك أن تنازل رجلاً من الرجال ! والحقّ إن الطّرواديّين لأهل خجل وحياء وسَماحة ، فما كان أجْدَرَهم أن يواروك فى التراب اقتصاصاً منك على ما سببته لنا من مِحَن وكوارث " .

فقال " فاريس " يجيبه عن مَلامه :

– " أى " هكطور " العظيم ! إنك لَعَلَى حقّ فيما تسوقه إلىّ من عَذْل وتعنيف ، ولست بمنكر ذلك ، ولكن لا تَلُمْنى على ما منحتنى "فينوس" إياه ، فما من رجل يستطيع أن يرفض لربة الجمال والحب هبِةَ من هِباتها . . . وكيفما كان الأمر فها أنا ذا عائد إلى النِّزال، وليَقِف الإغريق والطرواديون مَوْقِف المتفرّج على صِراع بينى وبين "منيلاوس " فى سبيل " هيلانة " الحسناء ، ولتكن هى وكنوزها من نصيب الغالب، على أن تستَتِبّ المودة والسلام بعد ذلك بين الشعبين، فيعود الإغريق إلى بلادهم راضين ناعمى البال ، ويحتفظ الطرواديون بأرضهم سالمين غانمين " .

فاختلج قلب " هكطور " فرحًا لدى سَماعه هذا الخطاب ، فتقدّم إلى جَمْهَرة المقاتلين ، وهدَّأ من ثائرتهم ، ولكن الإغريق أمطروه بوابلٍ من السهام والحجارة ، فصاح فيهم " أجا ممنون " بصوت دَوَّى كالرعد قائلاً :

– " توقّفوا . توقّفوا . إن " هكطور " النبيل صاحب الخُوذة البرّاقة لديه ما يقوله " .

فخّيم السكون على الجيشين ، وأنْهَى " هكطور " إلى المحاربين باقتراح أخيه ، فانبرى " منيلاوس " يقول :

– " إن رعونة " فاريس " قد جرّت عليكم ما تحملتموه فى سبيلى من ثقيل المكاره والأحداث ، ولكنّنى أرَى الآن أن نهاية الحرب قد أقتربتْ ، فاتركونا نتبارز نحن الاثنين ، إلى أن يموت أحدنا نزولاً عند حُكْم القَدرَ، فلنقدّم للإله " زَفْس " القرابين ، ولتكنْ معاهدتنا معقودة مع " فريام" دون أبنائه ، ذلك أنى لا أثق بكلامهم . أمَّا " فريام " ملك " طروادة" فهو شيخ جليل ، ولسوف يفكِّر طويلاً قبل أن يَنْكُث عَهْده ويهين الآلهة " .

فَرِحَ الإغريق والطرواديون بهذا الحلّ الموفَّق السعيد ، فأعادوا المركبات إلى صفوف الجيش ، ونزعوا أسلحتهم وطرحوها أرضًا، ومضى نَفَرٌ من المحاربين يدعون الملك " فريام " ويجلبون الأنعام التى ستُقدَّم ضحايا للآلهة .

وفى هذه الأثناء ، بعثت الرّبّة " هيرا " إلى " طروادة " رسولها " إيريس " متنكّرة فى زِىّ " لاوَديس " أجمل بنات " فريام " .

دخلت " إيريس " على " هيلانة " فوجدتها تَنْسج بيدَيْها الناعمتين مِعْطفًا كبيراً من الصّوف الأرْجُوانى ، وتخُطّ بإبْرتها على ذلك المِعْطف مَواقع المعارك التى خاضَها الإغريق والطّرواديّون من أجلها .

فقالت لها " إيريس " :

– " اتْبَعِينى أيتها الملكة النّبيلة تشهدى أمْراً عَجَبا ، فالمقاتلون الذين كانوا منذ قليل يترّحقون شوقًا إلى القتال ، جلسوا هادئين لا يُبْدُون حَراكًا ، متكئِين على تُرُوسهم ، غارسين حِرابهم فى الأرض ، فلا قتال ولا نِزال إلا بين رجلَين هما " منيلاوس " النبيل و" فاريس " الجميل ، فسوف يقتتلان وحْدَهما من أجلك ، وسوف تكونين زوجة الغالب " .

وكان لهذه الكلمات أثرها فى قلب " هيلانة " ، فأثارت فيها كوامن الشّجون .

ذكرت " هيلانة " فى مَرارة وألم وطنها الأول ، وزوجها " منيلاوس" ، ووالديها وطفلتها الحبيبة " هرميونً " ، وعصف بها الحَنان فسالت الدموع من مُقْلتَيْها ، ثم نهضت فجأةً وتلفحت بشَمْلَة طويلة ، وخرجت من القصر تَصْحَبُها وصيفتان من وصيفاتها ، وسارت إلى حيثُ يعسكر الجيشان .

ومرّت فى طريقها على مكان جلس فيه " فريام " ، ومن حوله

بعض الشيوخ الطّرواديّين الذين أبعدتهم سنّهم الطاعنة عن مَيْدان الحرب، فلما اقتربت منهم فى ثوبها الأبيض الناصع ، دُهِشُوا من جمالها الخلاَّب الفتّان وقالوا فيما بينهم :

– " لا عَجَب أن يقاسى الإغريق والطّرواديّون الأمرين ويتعرّضوا للموت فى سبيل امرأة على مثل هذا الجمال . . . على أننا نتمنى أن تحملها سُفُن الإغريق إلى وطنها ، وتكفينا شَرَّ القتال ، وتحفظ لنا أبنائنا " .

أما " فريام " فوجه إليها الحديث قائلاً :

– " تعالَيْ يا ابنتى العزيزة ، واجلسى إلى جانبى ، فمن هنا تسْتطيعين أن تَرَى زوجك الأول وأصدقاءك وأهلك . إنى لا ألومك على كل ما جَلَبْتِه علينا من مصائب ، فما أنت مسئولة عنها ، وإنما هى إرادة الآلهة التى أختارتك أداة ذلك الشقاء . . . والآن أخبرينى إن شئت عن أسماء هؤلاء الأبطال الذين أراهم شاكى السّلاح فى صفوف الإغريق " .

فقالت له حزينة كئيبة :

– " أبَتِ العزيز ! وددت لو اغتالتنى المنيّة يوم هجرت وطنى وابنتى وجميع من أحبّ لأصْحب أبنك إلى هذه الديار . . . ولكن أصخْ بسَمْعك إلَّ أطْلِعْك على ما تريد : هذا المحارب الذى تراه فى المقدّمة هو " أجاممنون " الملك القوىّ ، والرامى الماهر ، إنه شقيق من



كان زوجى الأوّل . . . يا لشقاوتى ! كيف أقْدَمْتُ على هجران أهلى وبلدى ؟! "

واستمرّت " هيلانة " تعرّفه بمجموعة من أبطال الإغريق المعروفين بالبطولة والشجاعة من مثل " أوذيس " وسواه ، وتذكر له أسمائهم ودموع الحنان والنَّدَم تنهمر على خدّيها حتى صاحت فجأة .

– " ويلاه ولكن أين أخوى ؟ أين أخى " كستور " مروّض الخيل ، وأين أخى " بولكس " الملاكم الذى لا يُقْهَر إنى لا أراهما " .

وكانت تجهل أن أخوَيْها كانا من سكّان القبور .

وجرى بعد ذلك تقديم الذبائح للآلهة ، وأعْقَبَه القَسَم الذى أدّاه كلٌّ من " أجاممنون " و" فريام " على رَعْى العهد الذى قطعاه على نفسيهما ، ثم ركب " فريام " مركبته وتوارى عن الأنظار وهو يقول :

– " لا . لا . لا أستطيع أن أشهد النِّزال بين " منيلاوس " وولدى... خيرٌ لى أن أعود إلى " طروادة " الخالية من أبطالها . . . فليس إلا "زَفْس" والآلهة الخالدة مَنْ يعلم عاقبة هذا الصراع " .

وتقدّم " هكطور " و" أوذيس " يحدّدان موقع القتال الذى سيدور بين الخَصْمين ، ثم أجرى " أوذيس " القُرْعة على من يبدأ بالرَّمْيَة الأولى ففاز بها " فريس " .

وتحاجز الخَصْمان فى عُدّة كاملة من السلاح ، وحِقْد تَغْلِى مَراجِله فى قلبيهما ، ويَدُ كلٍّ منهما مُمْسِكة بحَرْبته .

وبدأ " فاريس " القتال ، فشدَّ قوسَه ، وأطلق منه سهمًا أصاب تُرْس " منيلاوس " ولكن الترْس كان من فولاذ فطاش معه السَّهْم .

ورمى " منيلاوس " حَرْبته مستشفعًا بالإله " زَفْس " وهو يقول :

– " أيّها الإله العظيم ! امْنَحْنى القوّة والبأس لأنتقم مِمَّنْ وَصَمنى بِوَصْمة العار ، حتى يكون فى المستقبل عِبْرَة لكل من تحدّثه نفسه بخيانة الصديق وتدنيس حُرْمة الضيافة " .

فاجتازت اَلحرْبة ترس " فاريس " واخترقته ، ومزّقت جانبًا من ثوب الطروادىّ ، ولولا حركة خفيفة قام بها " فاريس " لما نجا من الموت .

واسْتَل " منيلاوس " عنددئذ سيفه المُحَلِّى مَقْبضه بالذّهب والفضّة ، ورفعه عالياً وأهوى به ضربة قاضية على

قِمة خُوذة " فاريس " ، فتحطم النَّصْل ، وطارت قِطَعُه من يده ، فصاح بالإله " زَفْس " مستجيراً وقال :

– " أيّها الإله " زَفْس " ما أقْسَى فؤادك وأغْلَظَ كَبِدَك ! ظننتُ أنى منتقم لنفسى من " فاريس " فطاش السهْم وتحطم السيف فى يدى " .

وفى الوقت الذى كان يناجى " زَفْس " بهذا الدعاء ، انْقَضَّ على "فاريس " وأمْسَك بقمة خُوذته ، وجَرَّه إلى جانب جيش الإغريق .

وكان الرّباط الثمين الفخْم الممتدّ تحت ذقن " فاريس " يضغط على

عنقه حتى ليكاد يخنقه ويميته أشنع مِيتة ، ولكن " فينوس " استخدمت سلطانها فانقطع الرباط ، وبقيت الخُوذة الفارغة فى يد " منيلاوس " فأدارها مَثْنَى وثُلاثَ ، وألقاها عند أقدام رفاقه ، وكرَّ راجعاً على عدوّه ليُبيّت فى ضلوعه سِنان حَرْبة جديدة .

غيرَ أن " فينوس " سارعت إلى نصْرة " فاريس " فأطلقت من حوله ضَبابًا كثيفاً حَجَبه عن الأنظار ، وقادته إلى قصره ، فى حين كان " منيلاوس " هائجاً هَيَجان الثَّوْر ، يبحث عنه ويحاول أن يَلْحَق به ولكن هَيْهات ، فما من أحدٍ من الطرواديين رآه ، ولو أنهم رأوْه لما فكُر واحد منهم فى إخفائه ، فكلهم كانوا يكرهونه ويُضْمِرون له الكُرْه والبَغْضَاء .

وعلى الأثَر ، صاح " أجا ممنون " قائلاً :

– " اسْمَعُوا أيه الطرواديون ! الواقع أن النصر فى جانب " منيلاوس" فأعيدوا إلينا إذنْ " هيلانة " وكلّ ما تملك من كنوز ، وادفعوا لنا جِزْيةً عادلة لِقاء ما تجشَّمْناه من عذاب وبَلاء " .

فصفّق له الإغريق طويلاً ، وأردفوا التصْفيق بالهُتاف والتهليل .





٥

بينما كان " منيلاوس " يجدّ فى تعقُّب " فاريس " ، كانت الرّبّة "هيرا " والرّبّة " مينرفا " ، والغَيْظ يملأ صدريهما ، مجتمعتين تتشاوران وتتداولان ، فيما يجب عمله نِكايةً بالطّرواديّين .

فما كانتا ترغبان أن تَضَع الحرب أوْزارها وينجو " فاريس " من العِقاب . فطارت " منيرفا " من " الأولمب " هابطَةً إلى الأرض فى سُرْعة النجم الهاوى تحمل إلى الرجال وَحْىَ الإله " زَفْس " .

فلما وصلت إلى بنى البشَر ، تنكّرَت فى زِىّ مقاتل ، وراحت إلى الطّروادىّ " بندارس " وهو من أمْهَر الرماة تحدّثه وتقول له :

– " اسْتَمع إلى يا " بندارس " . . . يجب عليك الآن أن ترمى "منيلاوس" بسهم يخترق نَحْرَه ويُرْدِ به قتيلاً عند قدميك ، فتكسب مجداً لا يضاهيه مجد ، وتطير لك فى الطرواديّين سُمْعة عظيمة ، ويغمرك "فاريس " بالهِبات والعطايا " .

فجازت الحيلة على " بندارس " وهزّته كلمات " منيرفا " فأخرج قوسه المصنوعة من قَرْن وَعْلٍ كان قد قتله فى بعض مطارح الصيد ، وركّب فيها سهماً جديداً حادًّا وصَوَّبه إلى هدفه تصويباً مُحْكَماً ، وشدّ القوس فى عُنْف وقوّة ، وانطلق السهم انطلاق الصَّاعقة الجائحة ، وكاد يصيب قلب " منيلاوس " فى الصميم لولا سَهَرُ " منيرفا " ويَقَظَتُها ، فلم يخترق السّهم إلا حَمَّالة السيف ، فمزَّق عُقدَتها ، ومَسَّ جَنْبَ " منيلاوس " مسًّا رفيقًا ، ، فسالت منه بعض قَطَراتٍ من الدم . ورأى " أجاممنون " تلك القَطَرات فشَحَبَ لونه خوفًا على أخيه ، ولكن أخاه هدَّأ رَوْعَه وقال له :

– " اطمئنَّ بالاً يا شقيقى ، فالجرح غير خطير ، والفضل فى نجاتى إلى تُرْسِى وحِزامى وحَمَّالة سيفى " .

واستُدْعِى للجريح طبيبٌ من مَهَرَة الأطباء ، فغَسَل الجُرْح ، ومَسَحَه بناجعِ المراهِم ، ثم لفّ عليه الضمّادات .

وبينما كان الطبيب يُداوِى جُرْح " منيلاوس " ، تَوجّه " أجاممنون" إلى جنده فوقف فيهم خطيبًا وقال :

– " إلى السّلاح . . . فالطّرواديّون نقضوا معاهدة الصلح ، ولسوف نُنْزل بهم صارِمَ العِقاب ، فالإله " زَفْس " لا يحمى الخَوَنَة . . . فسيروا معى نُعْمِل فيهم أسِنَّة الرّماح ، ونطرح جثثهم طعامًا للصُّقور والعِقبان " .

ولَحَظ " أجا ممنون " أن المستمعين له فريقان : فريق موفور الحميّة ، جيّاش الحماسة ، وفريق متّردّد فى خَوْض المعركة ، وكان فى هؤلاء الرّاغبين عن القتال " ديوميدس " فصاح فيه " أجاممنون " وقال :

– " أتريد أن تَهْرُب من المعركة يا " ديوميدس " ؟ ، إنى لا أكذّب عينى فيما أراه من إحجامك . . . أين أنت من أبيك العظيم ؟ فما كان يُرَى عند نشوب القتال إلا فى الطليعة . إن ابنه قد يفوقه فى عَذْب الحديث وحُلْو الخطاب ، ولكنه لا يعادله بأسًا وبسالة ! . . "

فلَزِم " ديوميدس " جانبَ الصَّمْت إجلالاً منه لرئيس الإغريق الأعْلَى ، وكان على مَقْرُبة منه رفيق من رفقائه ، فثار وقال :

– " لا تَكْذِبْ يا " أجاممنون " ! فأنت تعرف الحقيقة كما نعرفها ، فنحن أشْجَعُ من آبائنا وأشَدُّ مِراسًا فى الحروب " .

فلم يؤمِّن " ديوميدس " النبيل على هذا الكلام فقال :

– " اسْكُتْ يا صديقى ولا تَمْضى فى زَهْوك ! إن " أجاممون " يعرِف ما يفعل ، فواجبه يقتضيه أن يُلْهِب فى ضلوعنا نار العزم إلى القتال ، وهو يعرف كذلك أى مجد نظفَر به إذا قضى الإغريق على

الطرواديين ، وفتحوا عاصمتهم ، ويعلم أيضًا أى وَصمة عار نُوصَم بها إذا مُنِينا بالهزيمة والخُسْران . فهيَّا إلى السلاح إذنْ ثم هيَّا إلى القتال ! " .

وقفز " ديوميدس " من مركبته ، فسُمعت لعُدَّة السلاح التى يرتديها قعقة عظيمة ، ومشى المحاربون الإغريق فى صفوف كثيفة صفًّا بعد صفّ، مثل أمواج البحر عندما تَهْدِر متلاحقة متلاطمة ،وتتكسّر فى زَبَد لمّاع عند أقدام الصخور .

وتقدَّموا فى هدوء وثبات رجلاً بعد رجل ، وجواداً بعد جواد ، على حين كان الطرواديون كالنعاج الثاغية الحائرة يترقّبون وَقْعَ الصِّدام .

وكان إله الحرب " مارس " يروح ويغدو فى وسط الطرواديين كالحَ الوجه ، عابس الجبين ، ظاهر الغضب . أما " مينرفا " فكانت تجول فى صفوف الإغريق ، وتلمح الاضطراب والفَزَع منتشرين فى الجيشين .

والتقى الجيشان ، واشتبك المحاربون ، ودار الطعْن والضّرْب حتى صبغ الدم أديمَ الأرض .

وشرع المحاربون يتساقطون واحداً بعد آخر ، تساقطَ الشجر الذى تقطعه من جِذْعه فأس الحطّاب ، فكان الرجل وعدوّه يرتميان جنُبْاً إلى جَنْب ، ويضمهما ثرى واحد ، وينهال عليهما تراب واحد .

ورأت " مينرفا " صاحبة العينين الزَّرْقاوين ، أن " ديوميدس " كادت تخور قواه وتتضعضع ، فهُرِعَتْ تسكب فى أضلاعه قوّة لا تُقْهَر ، ثم جعلت خُوذَته تتألق بنورٍ باهر تألّقَ نجمٍ فى ليلة صيف .

وكان بين الطرواديين سقيقان يقاتلان ببسالة ومهارة ، فجرى أحدهما إلى " ديوميدس " وكان يحارب راجلاً ، فرماه بسهم أخطأه ، فردّ عليه " ديوميدس " بسهم أصاب منه مَقْتَلاً ، فسقط الطّروادىّ الشاب جُثّة هامدة، ولاذ أخوه بالفِرار ، تاركًا مركبته الفخمة ، فاستولى " ديوميدس " عليها فى الحال ، وعَهِد إلى رجاله فى حراسة خَيْلها الأصائل . وكانت " مينرفا " تراقب القتال عن كَثَب ، فذهبت إلى أخيها " مارس " وأمْسَكتْ بيده وقالت :

– " لِنَدَع الإغريق والطرواديين يتقاتلون وحدهم ، فصواب الرأى ألاّ نُقْحِم أنفسنا فى عِراكهم ، ولا فيمن يريد أبونا " زَفْس " أن تكون الغَلَبة له " .

قالت هذا وخرجت به من مَيْدان القتال ، وَمشَيا مَعًا على ضِفاف النهر، وبقى الإغريق والطرواديون يواصلون النزال دون عَوْن من الآلهة .

وتنافس الأبطال ، وحَصَد الموت منهم عدداً كبيراً ، وكلهم حارَبَ بَطَلاً ومات بَطَلاً ، وأبْلَى " ديوميدس " أحسن البَلاء وهو يكِرّ ويفرّ ، ويطعن ويضرب ، ويشدّ القوس ويُطْلِق السهام ، ويَصْرَع كل من رماه حظّه تحت متناول سلاحه ، فكان ينقض انقضاضَ الصَّواعق يمينًا وشمالاً ، ويُطيح بالروؤس والأعمار .

لَمَحَة " بندارس " النّبال الحاذق ، فخَفَّ إليه ورماه بنبْلَةٍ

اخترقت تُرْسَه ، وأسالت على جوانبه الدم ، فانتفخت أوداج " بندارس" كِبْرًا وخُيَلاء وصاح :

– " هنيئًا لكم أيّها الطّرواديّون الأبطال ، فقد أصبْتُ أشْجَعَ الإغريق وأحْذَقَهُمْ رِماية ، ولن يعيش إلا دقائق معدودات بعد جُرْحِه العميق " .

وبينما كان " بندارس " يُزْهَى ويفخر ، وَثَبَ " ديوميدس " من المركبة إلى الأر ض ، وقاللسائق المركبة :

– " انتزعْ سريعًا من كتِفى النبْلة الحادّة " .

فانْتُزِعت النبْلة على الفور ، وتدفَّق من الجُرْح دَمٌ أسود فصاح :

– " يا ربّة الحكمة استجيبى لدعائى . . . ساعدينى اليوم كما ساعدت أبى من قَبْل . . . مكّنِينى أن أغْمِد سهمى فى صدر مَنْ جرحنى، وأن أراه يفارق الحياة " ! سمِعَتْه " مينرفا " وقالت له :

– " تشجَّعْ يا " ديوميدس " وقَرَّ عينًا ، فسوف ألَبِّى نداءَك ، وأستجب لدعائك ، ولكن أن قابلتَ أحد الآلهة فى المعركة فتجنَّبْه واحْقنْ دمه إلا " فينوس " " .

فَرَجع " ديوميدس " إلى ساحة المعركة ، وعاود القتال هائجًا كالأسد حتى غَطَّى الأرض بضحاياه ، واستولى على خَيْلهم ، وكلّف رجاله أن يَسُوقوها إلى سُفُن الإغريق .

واستدار عندئذ إلى" بندارس " زعيم من زعماء الطرواديين هو

" إيناس " ابن محارب إنسان والرّبة " فينوس " وقال له :
– " ماذا تعمل إذنْ بقوسك وسهامك يا " بندارس " يا أحْذَقَ الرماة؟ كِرَّ على هذا المجتاح الذى يُطِيح بالرقاب ، وينشر الموت فى صفوفنا فلعلك بالغ منه مَقْتَلاً ! " فقال " بندارس " :
– " يُخَيَّل إلىّ أنه " ديوميدس " فقد نازلته ورميته بسهم حادّ ، ولكننى ألم أقدر أن أجرحه جرحًا مميتًا ، إنه أشبه بإله غضوب منه بإنسانٍ من البشر " . فقال له " إيناس " :
– " خَلّ عنك يا " بندارس " ولا تكن متشائمًا ! خُذْ مكانَك إلى جانبى فى مركبتى ، وأمْسِك بالسَّوْط والأرسان ، ودعنى أنازل أنا "ديوميدس " " . فقال " بندارس " :
– " كلاّ ! احتفظ بالسَّوْط والأرسان ، فجيادك متعوّدة حركة يَدِك ، ولعلها تَفْرَقُ إذا سمعتْ صوتًا غريبًا ، فَقُدْها أنت ، ودَعْنِى أقاتل أنا " ديوميدس " " .

وساق كلاهما المركبة إلى ناحية البطل الإغريقى ، فرآهما رفيق هذا يقتربان منهما فصاح مُحَذراً :

– " إنى أرى محاربين شديدين يتّجهان صَوْبنا يا " ديوميدس " فلنرجعْ بمركبتنا القَهْقَرَى يا صديقى ولنتجنّب الموت ! "

فقال " ديوميدس " حانقًا غضبًا :

– " لا تحدثْنى عن الفِرار فما فى عروقى دم هيّاب ولا جَبان .

وثق أنهما لن يُفْلتا منى ، فإذا مكنتنى " مينرفا " من أن أصرعهما ، فَقِفِ الجياد وأرْبط الأرسان إلى أعلى المركبة ، وطِرْ إلى الجياد " إيناس " وأتِ بها إلى صفوفنا ، فوالْحقّ ليس تحت الشمس خيلٌ فارهة مثلها " .

واقترب " بندارس " و" إيناس " من غريميهما ، وأطلق " بندارس" سهماً صُلْبًا قويًّا أخترق تُرْس " ديوميدس " ونفذ إلى الدرْع ، فصاح فَرِحاً مبتهجاً :

– " لقد أصبتُ فؤادك هذه المرة ، ولسوف تموت على الأثَر " .

فأجابه " ديوميدس " فى هدوء وسكون :

– " كلاّ ! لقد أخطأتنى هذه المرة أيضاً " .

ثم رماه بنشّابة حطمت مِنْخَرَى " بندارس " وأسنانه ، وقطعت لسانه، فسقط فاقد الروح ، واصطدمت عُدّة سلاحه بالأرض ، فسُمَع لها قَعْقَعَةَ مدوّية ، جَفَلَت معها جياده فَجَرت بعيداً منه . وقفز عندئذ " إيناس" من المركبة ، ووقف يحمى الجثة من أن يستولى عليها الإغريق أو يمثّلوا بها .

وعلى الفَوْر التقط " ديوميدس " بيده القوية حجراً ضخْماً ورمى به " إيناس " فأصابه فى فَخِذه ودَقَّ عظامه ، ومزّق أجلاد جسده. فجثَا " إيناس " العظيم على رُكْبَتيه ، وتوقع الهلاك ، غير أن أمه " فينوس " لما رأت الخطر المُحْدِق به ، طَوّقتْ بذراعيها البَضّتين

جسم ابنها الحبيب ، وحملته بعيداً من مجال الطَّعان .

نزل عندئذ " ديوميدس " من مركبتِه ، ولَحِق بالرّبة " فينوس " ورماها بسهم أصابها فى كَفِّها .

فصاحت متألمة ، وسقط منها جسم ابنها إلى الأرض .

وشاء حسن حظها أن يكون " أبولون " حاضراً غير منظور ، فاحتضنها بين ذراعيه ونأى بها عن المَيْدان بعد أن أطلق من حوله غمامة كثيفة .

فصاح " ديوميدس " قائلاً :

– " ابتعدى يا " فينوس " فالحرب ليست من شأنك ، وحسبك مجداً وفخاراً سِحْرٌ تخلبين به الْباب الناس " .

واستمرّ يطارد " إيناس " وهو لايعلم أى إله قوىّ يحميه ، وكان كلما اقترب من ضَالته المنشودة ارتدّ عنها خائباً حسيراً حتى قال له " أبولون" بصوت دوّى كالرّعْد :

– حَذارِ يا " ديوميدس " إنك تهاجم الآلهة ! " .

وتراجع " ديوميدس " مغلوباً على أمره .

وشاءت هنا الآلهة أن تخوض غَمَرات القتال فانحدر من "الأولمب" كلٌّ من " مارس " و" مينرفا " و " هيرا " واستقرّوا على أرض المعركة .

فصاحت " مينرفا " تخاطب أهل الإغريق قائلة :

– " يا للعار والشّنار ! عندما كان " أخيل " يحارب فى صفوفكم ، لم يجرؤ الطّرواديّون أن يتجازوا أبوابهم ، وها هم أولاءِ الآن يحاربونكم

على مقربة من سفنكم " .

وظلّتْ تستثير حماستهم بمثل هذا الكلام ، وتنتقل بين جماعة وجماعة منهم ،حتى وصلت إلى " ديوميدس " وكان قريباً من مركبته يُضَمِّد جراحه، ويحول دون تدفق الدم منها ، فصرخت فيه قائلة :

– " أمّا أنتَ فلست جديراً بأن تنتسب إلى أبيك البطل الهُمام ! كان ينازل الأبطال وحده ، وأنت تنازلهم ، وأنا إلى جَنْبك ، خائرَ القوى واهنَ العزيمة ، مضطَّرب الفؤاد ! " .

فقال لها :

–"كلاّ أيتها الرّبة الحكيمة ! فما أنا من يعْرِف الضعف والوَجَل فى صراع الأبطال . . . ولكن ألست أنت التى أنْهَيْت إلىّ ألاّ أحارب من الآلهة الخالدة إلا " فينوس " ؟ ! فلما رأيت الإله " مارس " متصدراً فى الحَوْمة، أمسكتُ عن القتال ، وأمرت ر جالى أن يتجنَّبوه وينسحبوا بصفوفهم إلى حيثُ تَريْنَهم " .

فابتسمت له " مينرفا " صاحبة العينين اللاَّزَوَرْدِيَّتَيْن وقالت :

– " أيّها البطل الحبيب إلى قلبى ! لا تخشى " مارس " ولا أىّ ربّ آخر ما دمتُ معك ، فاتبعنى وطارد " مارس " ورُدَّ عليه ضَرْبة بضَرْبة ، فقد كان وعدنى أن يحارب فى صفوف الإغريق ، فاخْفَرَ عهده ، ونزل يحارب فى صفوف الطرواديين " .

ولم تَكَدْ تُتِمّ كلامها ، حتى اعتلتْ مركبة " ديوميدس "

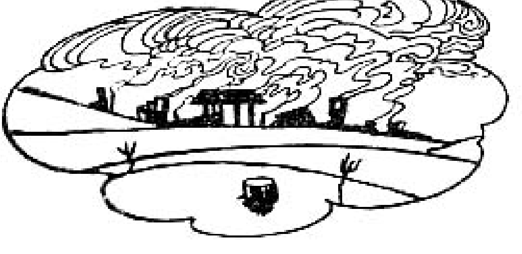


وحَلَّتْ محل السائق ، وقادت جيادها الجامحة متّجهةً إلى " مارس " .

وكان " مارس " يَكِيل الضَّرَبات للمحاربين ويصرعهم واحداً بعد آخر ، فلما رأى مركبة " ديوميدس " تجرى خَبَباً إليه ، خَفَّ إلى لقائها مَغِيظًا مُحْنَقًا ، ورماها بسهم من سهامه الحادّة ، ولكن " مينرفا" انحرفت بالمركبة جانباً فطاش السهم .

فسدّد إليه " ديوميدس " نشّابة قوية وجّهتها " مينرفا " إل خصر الإله " مارس " فأصابته ، وصاح من شدّة الألم صَيْحَةً تفوق أصوات عشرة آلاف محارب معاً .

ثم رآه الناس يجتاز أجواز الفضاء ، على غمامة سوداء ، عائداً إلى جبال " الأولب " .





٦

بينما كانت المعركة تدور على أشدِّها حامية الوَطِيس ، عاد " هكطور " ابن الملك " فريام " إلى أبواب " طروادة " فهُرِعَتْ إليه نساء المحاربين وبناتهم ، والْتَفَفْن حوله يتنسَّمون منه أخبار القتال ، ويستطلعونه طِلْعَ أهليهم ، وكلٌّ منهنَّ جازعة وَاجِلة ، تخشى أن يكون زوجها أو أبوها أو أخوها قد أصبح فى عِداد الأموات .

تابع " هكطور " سَيْرَه ، ووصل إلى باب قصره فرأى أمه مسارعةً إلى لقائه .

ولما اقتربت منه ، أمسكتْ بيده وقالت له فى حَنان ودَعةً :

– ” إنّك لمتْعَب مرْهَق يا ولدى ، ولهذا تركت ساحة المعركة . تعالَ حتى أسقيك بعض الشراب المنعش فتستردّ قواك ” .

فقال ” هكطور ” البطل :

– ” كلاّ يا أمَّاه ! لستُ بحاجة إلى شراب ، فشجاعتى وقواى هى على ما عهدتها فىّ . . . ولكن أعيرينى انتباهك واسمعى ما أقول :

اذهبى أنت نفسك إلى هيكل الإلهة ” مينرفا ” وقدّمى لها بعض الذبائح ، وتوسّلى إليها أن تَحْقِن دماء الطرواديين ، وأن ترأف بنسائهم وأطفالهم ، وأن تُبْعِدَ من أسوارنا ” ديوميدس ” القتّال . . . و سأذهب أنا فى هذه الأثناء إلى لقاء ” فاريس ” . . . آه ! ليت الآلهة كانت قد أهلكته ” .

ومضت أمّ ” هكطور ” تَصْحَبُها كوكبة من الأمّهات الأخْريات إلى هيكل ” مينرفا ” يقدِّمْن لها الصَّلوات والذبائح ، غير أن ” مينرفا ” أصمت أذنيها عن ابتهال هؤلاء الأمهات .

أما ” هكطور ” فمضى فى كامل سلاحه إلى منزل ” فاريس ” فوجده مشغولاً فى تراخ وهَوادة بصَقْل تُرْسِه ودِرْعه ، و ” هيلانة ” إلى جانبه .

فاغتاظ ” هكطور ” أ، يرى أخاه لا يكترث للأحداث وقال :

– ” من أجلك أنت يا ” فاريس ” يقتتل جنودنا ويموتون ، وأنت فى هذ الأثناء مُخْلِد إلى راحة مخجلة . فقُمْ واتبعنى . أتنتظر أن يَهْدِم الأعداء أسوارنا تحت جَمَرات النار وألسنة اللَّهَب ؟ ! ”

فقال " فاريس " :

– " أسْمِعْنى ما شئت يا " هكطور " من قارص المَلام فلَن تَعْدُوَا جانب الحقّ والصّواب . . . وها هى ذى " هيلانة " أيضاً كانت تحضّنى منذ قليل على أن أعود للقتال . فرويدكما حتى ألْبس عُدّتى وأصْحَبك " .

فلَزِم " هكطور " الصّمْت غير أن " هيلانة " وجّهتْ إليه الكلام وقالت :

– " يا عزيزى " هكطور " ! ما أنا جديرة بأن أكون أختَك . . . لَيْتَنى مِتُّ يومَ وُلِدْتُ ونجا الناس من هذه الأرزاء التى تُمْطِرهم بها الآلهة ، فاسترح قليلاً يا عزيزى " هكطور " ، وارحم فؤادك الذى يتعذَّب من جَرّاء خطيئتى وضَعْف " فاريس " . إنى لَعَلَى يقين من طائِلة العِقاب وحُكْم الزّمن علينا ، فسوف يَرْوِى الناس غداً فى أغانيهم وأناشيدهم قِصَص جريمتنا وشقائنا ! " .

فقال " هكطور " :

– "لا يا " هيلانة " ! لا تطلبى منى أن أستريح ، فليس يَشْغَل فؤادى إلا همٌّ واحد هو أن أبدّد هموم شعبى ، وأكون له نِعْمَ المِعْوان. فعلىَّ أن أرجع إليه ، وأشاطره الجهاد ، فاستحِثّى أنت زوجك ، واطلبى إليه أن يُعجِّل فى الذهاب رَيْثَمَا أمُرُّ بدارى ، وألْقىَ على عَجَل زوجتى " أندروماك " وطفلى الصغير ، فقد يُقْضَى علىّ ألاّ

أراهما بعد اليوم ! "

فودّعها و انصرف ، ووصل إلى منزله فلم يجد فيه زوجته ولا طفله ، فنادى الوصيفات وسألهنّ قائلاً :

– " أبن سيدتكنّ ؟ "

فقالت له إحداهنّ :

– " يا سيدى " هكطور " ! انتهت إلينا أنباء تقول إن الإغريق يشددون النكير على الطرواديّين ، ويُضَيِّقون عليهم الخِناق ، ويُجَدِّنون منهم الأبطال ، فاستولى الجَزَع على سيّدتنا " أندروماك " وطارت إلى الأسوار ، حاملة بين ذراعيها طفلك العزيز ، ولعلها الآن فى مَكْمَنِها تراقب المعركة وتَذْرِف الدَّمْع السَّخِين " .

فاندفع " هكطور " خارجًا من قصره ، وأخذ يطوف بالأزقّة ، وقُبَيْل أن يَصل إلى قصر " فريام " رأى " أندرو ماك " مقبلةً نحوه ، فتصافحا ومكثا قليلاً جَنْبًا إلى جَنْب ، لا يَنْبِسان بِبِنْتِ شَفَة كأنَّ على رأسيهما الطَّيْر، فابتسم " هكطور " للطفل مُلْقًى بين ذراعى أمّه ، وكان الطرواديّون قد أطلقوا على هذا الطفل اسم " أستيانكس " أى " ملك المدينة "تكريمًا لوالده الذى يَعُدُّونه منقذ الوطن . ولم تتمالك " أندروماك " من ضبط شعورها فأجْهَشَتْ بالبكاء ، ثم مسحتْ عَبَراتها وقالت :

– " إن شجاعتك يا " هكطور " ستُورِدك مواردَ الهلاك ، أفلا تَشْفَق



على هذا الطفل الصغير ؟ أوَلا تَخْشَى أن أصبح أرملة ؟ آه ! ليتنى أموت معك إذا مِتّ ، فلن ألقى إذا عشت بعدك إلا العذاب والآلام .

واحسرتاه ! لقد فقدتُ أبى وأمى وأثكلتنى هذه الحرب إخوتى السبعة فأنت لى يا " هكطور " بمثابة الأب و الأم والأخ بَلْهَ الزَّوْج الحبيب ، فارأف بنا وامنع زوجتك أن تصبح أرملة ، وجنّب ابنك أن يعيش يتيمًا ! " .

فقال لها " هكطور " :

– " يا زوجتى العزيزة : إنى لأعرِف هذا كله وأقدرُهُ حقَّ قَدْرِه ، فشقاؤك شقائى ، لكن أىّ عار أوصَمُ به إذا هربت من المعركة ، بل إذا فكرت فى الهرب منها ؟ لقد تعلمت أن أسْلُك مَسْلَك الأشراف ، وتعوّدت أن أقاتل فى الطليعة محافظةً على مجد أبى وجدى ، ولكننى أشعر بأن هذا المجد سوف يزول ، فقلبى وعقلى يحدثانى بأن " طروادة " لابدّ هالكةٌ منهزمة . فالحزن الذى سوف يملأ قلوب الطرواديين عند ذاك ،، ويُفْعِم قلب أبى وأمى وإخوتى وجميع أهل الشهداء ، لن تبلغ مرارته فى إحساسى مرارة الحزن الذى سوف يستولى عليك ، يوم تفقدين زوجك وعائلك وسَنَدك فى الحياة ، أو يوم يسوقك أحد الإغريق أسيرةً مَهِينة ينهمر الدمع من مآقيها . . . آه ! إنَّ الموت وسُكْنَى الأجداث لأهْوَنُ علىّ من أن أراك سَبِيَّة ذليلة ! "

والتفت إلى طفله يريد أن يحمله بين ذراعيه ، غير أن منظر الخُوذة التى يلبسها ، واللبْدَة الكثيفة المحكمة بها ، قد ارهب الطفل فبكى واخفى

رأسه فى صدر أمّه ، فتبسّم والداه ، ونزع " هكطور " الخُوذة من رأسه ووضعها على الأرض ، وأخذ طفله بين يديه ، واتجَه بروحه إلى " زَفْس" وبقية الآلهة الخالِدة يناجيها بهذه الصلاة .

– " أيها الرب " زفس " ! وأنت يا أيتها الآلهة ! هَبِى ولدى نعمة الحياة ، وأطْلِعيه نَباتًا صالحًا ، واجعليه فى الطّرواديين القُدْوة المُثْلَى ، وألّفى حوله القلوب ، وامنحيه القوة والبأس يحكْم " طروادة " ، ويَحْمِ حَوْضَها ، ويمشى بها إلى غايات الفَخار . . واجعلى الناس يقولون عنه كلما عاد من ساحة الحرب ظافراً منتصراً إنه " أشجع من أبيه ، وأشدُّ مراسًا وأقوى روحًا " وهيّئى لأمّه أسباب السرور به والاعتزاز " .

ثم أعاد الطفل إلى أمّه فضمّته إلى صدرها دامعةَ العين ، مختلجة الفؤاد .

وأثّر هذا المشهد فى قلب " هكطور " فأقبل على زجته يُرَطِّب خاطرها، ويلَطِّف من أساها ويقول لها فى عطف وحَنان :

– " لا تجزعى يا حبيبتى ، فالأعمار ملك الآلهة ، ولن يستطيع رجل أن يعجّل فى موتى ولا أن يؤخّر ، فعودى إلى البيت ، واستأنفى عملك فيه بين وصيفاتك ، وانهمكى فى شؤونه ، أما أعمال الكَرّ والفَرّ، ومقارعة الفرسان والأبطال ، فمتروكة لرجال " طروادة " وأنا على رأسهم " .

فلَبِس خُوذته ذاتَ اللبْدَة الخفاقة فى الهواء ، وسارت "أندروماك" عائدةً إلى قصرِها ، ملتفتةً غيرَ مرّة بنظرها إلى الوراء ، مغرورقةَ

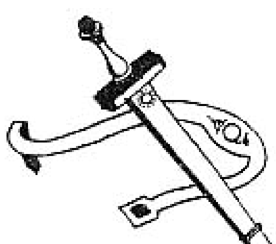
العين تودّع زوجها الحبيب ، وتودّع معه روحها الهَلُوع .

وكان " فاريس " فى هذه الأثناء قد غادر منزله ، مرتديًا عُدّة الحرب تنعكس عنها أشعة ساطعة متألقة مثلَ أشعة الشمس ، وجرى إلى حَوْمَة القتال كالجواد الجامح ، لاشكيمة تَقِفُه ولا رَسَن ، ولحق بأخيه " هكطور " عالى الرأس ، فخورا بجماله وثمين سلاحه ، حتى إذا أقترب منه قال له :

– " أخشى ياشقيقى أن أكون قد أبطأت فى اللّحاق بك ! " .

فقال " هكطور " البطل الكريم النّفْس :

– " ما مِنْ أحد يَشُكّ يا " فاريس " فى شجاعتك وبسالتك ولكن بقاءك بعيداً من المعركة أمر يَشِينُك فى أعين الطّرواديّين . . . والآن هيّا بنا ولتَنْصُرْنا الآلهة على الإغريق ! "





٧

كانت " مينرفا " تنظر من أعالى " الأولمب " إلى المعركة الحامية ، الدائرة الرَّحَى بين المقاتِلين ، فهالها أن ترى الإغريق يتساقطون صَرْعَى واحداً بعد ظآ خر ، تحت وابلٍ من سهام " هكطور " و " فاريس " ، فأثارت فى قلب " هكطور " الرغبة فى وقف القتال بين الجيشين ، والدّعوة إلى أن يبعث الأعداء رجلاً منهم يبارزه وينازله .

وحدث ما أرادت " مينرفا " ، فأمر " أجاممنون " و " هكطور" بوقْف النّزال ، وتحدّى " هكطور " الإغريق أن يُبْرِزوا له رجلاً

يقاتله ، وأَرْدَفَ دعوته قائلاً :

– " أيّها القوم : إنى أشْهِد " زَفْس " على ما أقول ، لئن سقطت صريعًا فى هذا العِراك ، إن للغالب أن يتصرّف بسلاحى ، ولكن عليه أن يدفع بجثتى إلى أهلى ، ولئن خَرَّ هو صريعاً لأستولِيَنَّ على سلاحه ، وأردَّن جثته إلى ذويه ، حتى يحتفلوا بتشيع جنازته الاحتفال اللائق به ، وحتى يقام له على شاطىء البحر ، ضريح يزوره الناس فى المقبل من الأيام ، ويقولون عن ساكنه : " هنا يرقد رجل لَقِىَ حَتْفَه بيد البطل " هكطور " " .

سَمع الإغريق هذا الكلام فلزموا الصّمْت ، وخاف كلٌّ منهم أن يَبْرز للبطل الطّروادى ، فنهض " منيلاوس " ، وجَمَع سلاحه تأهبًا للقتال ، ومضى يعنّف الإغريق قائلاً :

– " ألا تخجلون يا قوم ؟ ! أليس فيكم رجل يقبل التَّحدّى ؟ ! إنى ذلك الرجل ، ولسوف أنازل " هكطور " ، ولْتَقْضِ الآلهة بيننا ما هى قاضية . . . "

فأبَى " أجاممنون " أن يعرّض " منيلاوس " نفسه للهلاك فقال له :

– " أجُنِنْت يا " منيلاوس " ؟ أكْبَحْ جِماحَ ألمك ، وَعدِّ عما تريد ، فإن " أخيل " نفسه ليُحْجِم عن منازلة " هكطور " ، ومَنْ مِثْلُ "أخيل " ؟ "

فقام عندئذ تسعة من الإغريق ، وكلهم مستعد أن يخوض المعركة

الكبرى فى وجه " هكطور " ، فاتفقوا على أن يُقْتَرَع بينهم ليعرفوا مَنْ يكون منهم بطل الإغريق الذى سيتصدَّى لبطل " طروادة " .

وعَيَّنت القُرْعَة البطل " أياس " ، فملأ الفرحُ قلبَه ، ولاحت على وجهه العَبُوس ابتسامة مخيفة وهو يُعِدّ سلاحه ، ويُحْكِم دِرْعَه وتُرْسه ، فرَفَعَ رمحه الطويلة ، وقَدَحَت عيناه بالشرر .

واضطَّرب الطرواديّون عند مَرْآه على تلك الصورة من العزم ، والإقدام، وشعر " هكطور " نفسه بقلبه يضطرب فى صدره .

ومسى " أياس " إليه وهو يُرْغِى ويُزْبِد ، ويتوعَّد ويقول له :

– " لئن بقى " أخيل " قُرْبَ السُّفُن منصرفًا عن الحرب ، لتعلمنَّ يا " هكطور " أن فى الإغريق أبطالاً سواه ، كفيلين بأن يُمَرّغوا وجهك بالتراب ، فخذ حذْرك الآن وابْدأ القتال " . فقال " هكطور " :

– " أتحسَبُنى يا " أياس " امرأةً ضعيفة أو طفلاً غريراً يجهل فنون الحرب ؟ إنى لأعلم منها كل القواعد والأسرار ، ولكننى لن أصربك غِيلَةً وغَدْراً ، بل سوف أضربك عَلَنًا فى نِزال شريف إذا مكَّنَتْنِى منك الآلهة " .

وما كاد يُتِمّ كلمته ، حتى سَدَّد حربته الطويلة إلى " أياس " ، ورماه بها سريعةً صافرة ، فتلقَّاها " أياس " بتُرْسِه المصنوعة من سَبْع طبقات من الجلد المُغَطَّى بالفولاذ ، فاخترقت الحربة ستًّا منها ، وطاشت عند السابعة.

وردّ " أياس " على خَصْمه ، ورماه بِحرْبة اخترقت تُرْس ابن "فريام" ودِرْعَه ، ومزّقت جانبًا من ثوبه عند الخَصْر ، ولولا حركة سريعة خفيفة أبدها " هكطور " ، لما نجا من تلك الطَّعْنَة القاتلة .

وعَمَدَ كلٌّ من الخَصْمَيْن العَنِيدين ، إلى حِراب أخرى يجول بها ويصول ، ويسدّدها ويُطْلِقها ، مُقْدِمًا حينًا مُحْجِمًا حينًا آخر ، كأنهما أسَدان غضوبان ، يريد كلٌّ أن يَفْتُك بصاحبه .

وأصاب " هكطور " مرّة أخرى تُرْس " أياس " .

ولكن التُرْس قاوم الطعنة فخاب أثرها ، وأجاب " أياس " عنها بسهم اخترق تُرْس " هكطور " ومَسَّ عُنُقَه مَسًّا رفيقًا ، وأسال منه بعض الدم ، فلم يتقهقر " هكطور " مع ذلك والتقط من الأرض حَجَراً ضَخْماً ، وضرب به " أياس " ، فتلقاه بترسه ، وأحْدثَ اصطدامه بالفولاذ دَوِيًّا عظيمًا .

والتقط " أياس " حَجَراً أضْخَم ، وقذف به تُرْس " هكطور " ، ففَقَد هذا توازنه ، وركع على رُكْبَتَيْه ، وكان فى مقدور " أياس " أن يُجْهِز عليه لولا أن أقاله " أبولون " من عَثْرَتِه ، وكان يشهد المعركة متخفياً عن أعين المقاتلين .

وجرّد كلٌّ من البَطَلَيْن سيفه ، وهجم به على غريمه فاعترض سبيلهما شَبَحان مْمسِكان بعصًا طويلة فرّقا بين المتبارزين وقالا :

– " كُفَّا عن القتال ، فقد بَرْهَن كلاكما على أنه بطلٌ صِنْديد



ومحارب عَنِيد ، له فى قلب " زَفْس " منزلة أثِيرة . . . لقد بدأ الليل يَهْبِط ويَلُفّ الأفق بوِشاحه الحالك ، فيَحْسن أن تتوقفا عن القتال ! "
فقال " أياس " :
– " إن " هكطور " هو المتحدِّى ، فليقُل كلمته يَجدْنى طَوْعَ قَرارِه! "
فقال " هكطور " :
– " إن الآلهة يا " أياس " قد منحتك القوة والذكاء ، ورفعتك فوق مراتب الإغريق بطولةً وبراعة ، وها هو ذا الليل يخيّم علينا ، فَلْنَقِف القتال ونستأنفه غداً ، ولتكن الآلهة هى الحَكَم بيننا . والآن لنتبادل الهدايا حتى يقول الإغريق والطّرواديّون : لقد تنازل " أياس " و " هكطور" ودار بينهما قتالٌ عنيفٌ ، ولكنهما عندما افترقا عادا صديقين " .

وقدّم " هكطور " إلى " أياس " سيفه المُحَلَّى بمسامير من الفضة مع الغِمْد والحمائل ، وأهدى له " أياس " حزاماً ثميناً من الأرْجُوان ، وافترق البطلان ، وهَلَّل كل جيشٍ لرجوع بَطَلِه المِغْوار .





٨

احتفل الإغريق برجوع " أياس " ، فأقاموا الولائم ، وقدَّمُوا للآلهة القرابين ، ثم عَقَدُوا اجتماعًا شَهِدَه الرؤساء والزعماء ، ونهض فيه " نسطور " أكبر القادة سنًّا وأحْصَفهم رأيًا فقال :

– " علينا أيها الأصدقاء أن نجمع غداً عند الفجر جُثَت موتانا الأعزّاء، وأن نحرُقَها فوق مَحْرقَة واحدة " .

وبينما كان الإغريق يتداولون ويتشاورون فى هدوء واطمئنان ، كان الطّرواديّون مجتمعين عند أسوارهم ، لا يستقّرون على حال من القَلَق والاضطراب ، فقال أحدهم :

– ” ماذا نترقب من معاهدة تقوم على الزور والبُهْتان ؟ ! فالأَوْلَى بنا أن نرد ” هيلانة ” الجميلة إلى الإغريق ، ونبعث معها بجميع كنوزها و أموالها ” .فأجابه ” فاريس ” غضبانَ حانِقًا :

– ” أمَّا كنوز ” هيلانة ” فأوافق على رَدِّها ، بل على أن أضيف إليها بعض كنوزى ، وأمَّا ” هيلانة ” نفسها فأمَانع فى التخلى عنها ، إنها زوجتى المحبوبة وستبقى فى ديارنا ” .

وعند طلوع الفجر ، وَفَدَت على ” أجاممنون ” الرئيس الأعلى لجيش الإغريق ، جماعة من الطّرواديّين يحملون رأى قادتهم . فلمَّا مَثَلُوا بين يديه قالوا له :

– ” عَهِد إلينا ” فريام ” وأمراء ” طروادة ” أن ننقل إليك قرار ” فاريس ” : إنه يقبل راضيًا مختاراً أن يعيد جميع الكنوز التى جلبتها معها ” هيلانة ” إلى ” طروادة ” ، بل أن يضيف إليها بعض كنوزه ، ولكنه يأبَى كلَّ الإباء أن يَنْزِل عن زوجة ” منيلاوس ” أجمل جميلات العالم . ولقد جئنا نطلب إليكم كذلك الموافقة على هدنة بيننا ، نستطيع معها أن ندفن موتانا ونحيطَهم بأسباب التكريم ، ثم نستأنف القتال إلى أن تفصل الآلهة بيننا وتمنح النصر من تشاء ” .

فصاح ” ديوميدس ” فى قومه :

– ” حَذارِ يا بنى وطنى ! فلا كنوز ” هيلانة ” مشفوعةً بكنوز ” فاريس ” ، ولا رجوع ” هيلانة ” نفلسها تُغْرِينا بوقف القتال . . . إن أيام

" طروادة " أصبحت معدودة ، وإنه لأمر واضح لكل ذى عينين ! "

فقابل الإغريق كلامه بالهُتاف والتهليل ، والتفت " أجاممنون " إلى وفد " طروادة " وقال لهم :

– " لقد سمعتم جواب الإغريق . . . على أننا نوافق على منحكم هُدْنَةً تدفنون فيها موتاكم " .

وطاعت الشمس فى صباح اليوم التالى تغمر بأشعّتها التّلال والسّهول، فالتقّى الإغريق والطرواديّون فى مَيْدان الوَغَى ، ومضى كل فريق بعين دامعة وقلبٍ يَعصف به الألم ، يبحث عن موتاه ، ويجمعهم فوق محْرَقة ضخمة طعاماً للنار .

وانتهى الإغريق من مهمّتهم ، فعَمَدُوا إلى حَفْر خندق عظيم ، وبناء سُورٍ ضَخْم يحتمون وراءه ، ففرغوا من عملهم عند هبوط الليل ، وراحوا يتناولون طعام العَشاء ويغنّون ويرقصون .

وقضى الطرواديّون أيضا ليلتهم فى أنْس وحُبُور ، فضاق " زَفْس " ذَرْعًا وهو فى أعالى " الأولمب " بهؤلاء وأولئك ، وعاب عليهم فى نفسه، أن يستسلموا إلى الأفراح غير مبالين ولا مكترثين .

ولم يكد الفجر ينبثق فى اليوم التالى ، ويُشْرِق ببسمته الوردية ، حتى دعا ملك " الأولمب " مجلس الآلهة ، ونهاها بصوت رهيب ، والغضب يُشعّ فى عينيه ، أن تكُفّ عن إقحام نفسها فى القتال الدائر بين الإغريق والطّرواديّين . فقالت له " مينرفا " :

– " يا أبانا العظيم ! ثِقْ أننا سننزِل عند أوامرِك ونواهِيك ، ولسوف نوحى إلى الإغريق لو شئت ، بأن يَجْنَحُوا إلى السَّلْم حتى لا يقودهم غضبك إلى الهَلاك " . فقال " زَفْس " :

– " حَسَنًا يا " مينرفا " ! " .

وابتسم ابتسامةً خفيفة ، فقد كانت " منيرفا " حبيبةً إلى قلبه عزيزةً عليه . ثم ارتدى دِرْعه الذهبية ، وركب مركبتَه ، وأمسك بسَوْطه المُزْدان مقبضُهُ بقِطَع الذهب ، وحَثَّ جياده البرّاقة الأعراف ، فلطارت به تجتاز الفضاء فى طريق وسَطَ بين الأرض والسماء .

وَصَل إلى جَبَل " إيدا " فحطَّ على قِمّته ، وفَكَّ أرسانَ الخيل ، واشتمل بغمامة سوداء ، وأخذ يُجيل الطَّرْف فى الإغريق والطّرواديّين ، وقد التحموا فى عِراكٍ عنيف فى السَّهْل البعيد .

وكان الجيشان قد هبّا فى الصباح الباكر إلى اللقاء والقتال ، واشتبكا فى معارِكَ دامية تَدَفَّقَ فيها الدَّمُ ، فصَبَغَ الأرض ، وتعالَتْ فيها الصَّرَاخ إلى عَنانِ السماء ، بين صَيْحة نَصْرٍ يجأر بها الغالب ، وصَيْحَةِ غَيْظٍ وحَنَق تخرج من فم المغلوب .

وعند الظهر ، نزل ربّ الأرباب من عرش الغَمام ، وأمسك بميزانه الذّهبىّ ، وَوضَع فى كل كِفَّة سهماً ، هذا للإغريق ، وذاك للطرواديين ، فشالت كِفّة هؤلاء ، وعلى الأثر التمع فى الجوّ بَرْقٌ اخترق أحشاءَ الغَمام، فرأى الجيشان فى ضوئه ربّ الأرباب حاملاً

ميزانَه ، فهلعت قلوبُ الإغريق .

جَدَّ الإغريق فى الفِرار حتى الشجعان منهم إلا " نسطور " الشيخ ، ولكن ماهَى إلا لَحَظات حتى أصيب جوادُه بسهم أطلقه " فاريس " فشَبَّ على قائمتيه ، وتململ فلى أرْبِطَته ، وأثار الذعرْ فى بقية الجياد التى تجرّ المركبة .

فقفز " نسطور " على الفور إلى الأرض ، وقطع بسيفه أربطة الجواد ، ولَمَحَ عن بعد " هكطور " مقبلاً إليه إقبالَ الصاعقة ، بمركبة تطير جيادُها طَيَران النسور ، ولولا أن خَفَّ " ديوميدس " إلى " نسطور " بلما نجا هذا من موت محقق .

وقف " ديوميدس " وحده إلى جانب " نسطور " وقال له :

– " إنك يا عزيزى " نسطور " تقاتل شباًناً أقوياء ، وإنى لأراك بادى الضَّعْف وأرى جيادك متقطع الأنفاس ، فارْكب مركبّى تعلمْ قيمة جيادى ، والآن لننقض على " هكطور " حتى ألقنه درساً فى الرماية " .

انصاع " نسطور " لإلحاح رفيقه ، فركب مركبة " ديوميدس " وأمسك بزِمام الخيل ، وأعمل السَّوْط على ظهورها ، وجرى البطلان إلى لقاء " هكطور " .

وعاجل " ديوميدس " " هكطور " بسهم نفّاذ ، فمرّ فوق رأسه ، ولكنه أصاب سائقه إصابةً مميتة فسقط من المركبة ، ولعل هزيمة الطّرواديّين كانت محقّقة بعد ذلك لولا سهرُ " زَفْس " ربّ الأرباب

وشديد رقابته ، فرمى الأرض بصاعقة من صواعقه ، فانفجرت قرب مركبة " ديوميدس " عند حوافر الجياد ، فشبَّ اللَّهَب ، وارتاعت الجياد واضطربت ، وأفْلتت الأرسان من يدَىْ " نسطور " .

فقال يخاطب " ديوميدس " :

– " الآلهة يا " ديوميدس " تحارب فى صفوف أعدائنا وتشدّ أزْرَهم، وليس فى الأرض رجلٌ مهما بلغت قوّته ، يستطيع أن يناهض إرادة " زَفْس " ربّ الأرباب . فقال " ديوميدس " :

– " إنك لعلى حقّ أيها الشيخ ! غير أن فؤادى ليعصره الألم إذا فكّرت فى ألأن النصر سيكون حليف " هكطور " ، فقد يقول يومًا مستعلياً مزهُوًّا : (إن " ديوميدس " فرّ من أمامى إلى سفنه) . فلو حدَثَ هذا لوددت أن تنشقَّ الأرض وتبلعنى " . فقال " نسطور " :

– " كلاً يا " ديوميدس " ! لن يصفك " هكطور " بالخوَر ولا بالجُبْن، فلو فعل لما صدَّقه طرواديّ واحد ، ولا سيما أولئك النِّسْوَة الأرامل اللواتى خرّ أزواجهن صَرْعى عند قدميك " .

وأدار " نسطور " رؤوس الخيل ، وهرب البطلان تحت وابل من السِّهام أمطرهما بها الطّرواديّون ، فى حين كان صوت " هكطور " يلعلع كالرعد ويقول :

– " انظروا إلى بطل الإغريق كيف يفِرّ فِرار الجبان ؟ اهرب يا هذا ما أنت ببطل ، وإنما أنت فتاة خَرِعَة متخاذلة ! . ."

سمع " ديوميدس " هذا السباب ، فتملكه الغضب ، وودَّ لو رجع بمركبته ونازل هذا الجسور ، وهمَّ غير مرّة بأن يفعل فكان " زفْس " فى كل مرة يصْرِفه عن عزمَه ، ويُطْلِق صاعقةً من صواعقه يتفاءل بها الطّرواديّون ، ويروْن فيها رمز النصر ، ويتطيَّر منها الإغريق ويعدّونها رمز الهزيمة .

واهتزّ " هكطور " طرباً من ذلك الفأل الحسن ، فهبّ يُذْكِى نيران الحماسة فى قلوب رجاله ، ويوغِر صدورهم على العدو ، ويُمنِّيهم بالنصر القريب ما دام " زَفْس " جمّاع السُّحُب ومبدّدها ، يتبنَّى قضيتهم ، ويحارب فى صفوفهم . ومضى " هكطور " يثير الحمِيّة حتى فى صدور جياده ، ويخاطبها بأسمائها ويقول :

– " هيّا يا " كسنْت " ويا " بُودرْج " وأنت يا " لمْبُوس " هيّا أيتها الجياد الكريمة القوية أسرعى وشُدّى على العدو ، وأظهرى أثر عنايتى وأثر عناية " أندروماك " بك . . . طيرى ومكنينى من أن أستولى على تُرْس "نسطور" المطعَّم بالذهب،وأن أنتزع من " ديوميدس " دِرْعه العظيمة " .

ثم طار بمركبته ، تتبعه صفوف الطّرواديّين فضيَّقُوا الخناق على الإغريق حتى حصروهم فى خنْدق ضيّق بين السُّور والسُّفُن .

ولعل ألسنة النيران كانت إذ ذاك ستلتهم سفن الإغريق ، ولعل الحرب كانت ستنتهى على هذا النحو من هزيمة الإغريق ، لولا مسعى

الربّة " هيرا " وإيعازها إلى " أجاممنون " بان يقوّى عزائم جنده ، ويحيى فيهم ميّت الآمال .

فاطاع " أجاممنون " وحْى " هيرا " وتوسّط الجند وهو يقول :

– " يا للخجل ! أين إذن وعودكم ومواثيقكم ؟ ! أين الأيْمان المغلظة التى أقسم بها ألا تعودوا إلى دياركم إلا منتصرين ؟ ! "

ثم أخذ يصلى ويناجى " زفْس " ربّ الأرباب ويتوسّل إليه أن يمنح الإغريق نعمة النصر .

فاستجاب ربّ الأرباب لدعائه بانحناءة خفيفة من رأسه ، وأطلق على الفور فى كبد الفضاء صقراً يحمل بين براثِنِه غزالاً صغيراً رماه عند سفْحِ المذْبح .

فاستعاد الإغريق شجاعتهم ، وانتعشت أرواحهم عند هذا الفأل الحسن، ووثبوا وثبة النَّمِر إلى القتال ، وعادت الحرب سِيرتها الأولى من الدَّوران ، وقفز كل جندى من الجيشين إلى خصمه ، يصاوله ويناجزه ، ويجدّ فى أن ينتزع روحه من بين جنبيه .

وعادت السّهام والحراب والحجارة تملأ جو المعركة ، ويتراشق بها الرُّمَاة ، فتصيب من تصيب ، وتخطىء من تخطىء ، هذا وجوانب المَيْدان يتعالى عزِيفٌ يُصِمّ الآذان ، اشتركت فيه صرخات المقاتلين ، ودوِىّ المركبات وقَعْقَعَة السّلاح ، وصهِيل الخيل .

وكان " توْسر " أخو " أياس " من المبرّزين فى هذه المعركة ،



فما رمى سهماً وطاش ، ولم ينج من أسنّة سهامه غير " هكطور " ، فكم من مرة شدّ فيها عليه ، وصوّب إليه السهم تلو السهم بُغْيَةَ أن يُرْدِيَه قتيلاً ، وينفض يده من بطل الطّرواديّين ، ولكنه أخْفق فيما بَغَى ، وبقيتْ أمنيته عزيزةً لا تُنال .

وسدّد إليه بعد جهد ولأْى سهماً قاتلا أصاب سائق المركبةً فوقع ميتاً . وعزّ على " هكطور " أن يفْقِد رفيقه الوفىّ ، وحزّ الألمِ فى صدره ، فقفز من المركبة وصاح صيحةً مخيفة ، وتناول حجراً ضخماً مشى به إلى "توسر" يريد أن يضرِبه به عن كثب ويقضى عليه .

وكان " توسر " حينئذ قد رفع قوسه ، وشدَّ منه الحبل إلى كتفه ، وهمَّ بإطلاق السهم ، ولكن حجر " هكطور " كان قد أصابه فى تلك اللحظة فانقطع الحبل وتراخت قبضته ووقع القوس من يده وخرّ جاثياً على ركْبَتيه .

خَفَّ أخوه " أياس " إليه كالبرق الخاطف ، وحماه بتُرْسه ، إلى أن حمله أثنان من رفاقه ومضيا به إلى الشاطىء وهو يئنّ من الألم .

وشاء " زفْس " أن يحقّر " أجاممنون " انتقاماً "لأخيل " ونزولاً عند الوعد الذى كان قد قطعه على نفسه لأمّه " تيتيس " فعمد مرّة أخرى يُوغِر صدور الطّرواديّين على الإغريق ويحثّهم على التنكيل بهم ودحْرِهم فى هزيم مُنْكرة .

أما " هيرا " و " مينرفا " فقد بلغ الحزن منهما كلَّ مبْلغ على

مصير الإغريق ، فأخذتا وهما فى " الأولمب " تتشاوران وتقدحان زِناد الفكر للعثور على وسيلة تُعِينان بها الإغريق ، على غير علم من " زَفْس" ، بعد أن توعَّد بشديد العِقاب كل إله يحشُر نفسه ثانيةً فى تلك الحرب ، وينصُر فيها فريقًا على فريق .

ولقد ذكرتا نبوءة " زَفْس " حين قال للآلهة :

– " غداً تبلُغ الأهوال ذرْوتها ، ويُذِيق " هكطور " الإغريق مرّ العذاب ، حتى ينْشط " أخيل " العظيم للحرب ، وينزل ساحاتِها هائجاً مُحْنقاً يريد أن يثأر لموت صديقه العزيز " فطْرُقْل " . . . تلك هى مشيئة الأقدار! . . . "

هَبَط الليل بظلامه الدَّامِس ، فاستاء الطرواديّون وهلَّل له الإغريق ، على رجاء أن ينالوا فيه قِسْطًا من الراحة .

واستند " هكطور " إلى رُمْحِه ، وقال يخاطب جيش الطّرواديّين :

– " أنْصِتُوا إلىّ يا بنى قومى ، واسمعوا ما أقول :

كنت أوَدّ لوقضيتُ اليوم على جيش الإغريق ، وعدت بكم منتصرين ظافرين إلى مدينتنا " طروادة " ذات الأسوار المنيعة ، غير أن الليل انتشر سريعاً فحال دون هذه الأمْنِية . وكيفما كان الأمر فلننتهزها فرصةً ننظِّم فيها شؤوننا ، ونصيب شيئاً من الراحة نحن وخيولنا .

إننى أوصيكم بأن تبقى نيراننا مُوقدة حتى لا يعْمِد الإغريق إلى الهرب وركوب البحر فى جُنْح الليل .

أيها الدّعاة ! انقلوا أوامرى إلى ” طروادة ” وهى هذه : لِيحّرس الشباب والشيوخ الأسوار ، ولْتُوقِد النساء المصابيح فى المنازل ، حتى لا يغافلنا الإغريق ويدخلوا المدينة سراًّ . فإذا انْبلج الصبح استأنفنا القتال، وعلِمْنا ” ديوميدس ” هو الذى سيدْحرُنا إلى ” طروادة ” أم أنا الذى سأخترق صدره بطعنة من رمحى ، وأرميه قتيلاً عند موْطِئ قدمىَّ ” .

فهَتف الطّرواديّون له هُتافًا شقَّ حِجاب السماء ، وقاموا إلى الخيل يفكّون أرْبِطَتها ، ويقدِّمُون لها العَلَف ، ثم توغَّلوا فى مختلف النواحى يجمعون الحطب ، ويُشعِلون النار ، ويجلسون حولها فى أكمل عُدَّة من السلاح ، مستعدّين للوثوب عند أول إشارة .





٩

بينما كان الطّرواديّون مُتحلِّقين حول النار ، يقضُون الليل فى سَهَرٍ ويَقَظة ، كان الإغريق متجمّعين تحت خيامهم فريسةً للهمّ والقلقً والخوف ، ولم تكن حال " أجاممنون " بأحْسن من حال جُنده ، فقد كان اليأس ينخر قلبه .

وعلى حين فجاة ، أنهى إلى دُعاتِه أن يمضوا فى صمت وسكون ، وفى غير ضوضاء ولا جَلَبة إلى القادة والزعماء ، ويطلبوا إليهم عَقْد مجلس الحرب .

وانعقد المجلس وكان الألم يقيم الأعضاء ويقعدهم ، فوقف فيهم

" أجاممنون " والدُّموع تنهمر من مآقيه انْهِمار الغيْث المِدْرار وقال :

– " يا أصحابى ! يا ملوك الإغريق وزعماءهم ! يعزّ علىّ أن أقول لكم إن " زَفْس " قد خدعنا وعاملنا بلا رحمة ولا شفقة . . . كان بانحناءة من رأسه قد وعدنا بالنصر ، فنكث وَعْدَه وجلَّلنا بالخِزْى والعار ، فلم يبق لنا إنلا لأأن نُولِّى الأدبار مستقلين مراكبنا ، هاربين بها إلى بلادنا ، فالاستلاء على " طروادة " ضربٌ من المُحال ، وأمْرٌ دونه خرْطُ القَتاد " .

فصمت السّامعون قليلاً ، رازحين تحت وطأة الحزن ، ثم نهض " ديوميدس " وأجال الطَّرْف فى الحاضرين وقال :

– " رميتنى يا " أجاممنون " منذ قليل بالجبن والخور ، ويعلم الإغريق جميعهم ، من شبّانهم إلى شيبهم ، أنى لست بالجبان الواهن العزم . . . لقد منحك " زَفْس " الحُكْم والسلطان ، وأبى أن يَهَبك الشجاعة وهى فوق الحكم والسلطان . . . أتحسب الإغريق ضُعَفاء جُبَناء مثلك ؟ ! تريد الهرب فاهرب ، فمراكبك تنتظرك عند شاطىء البحر ، أمّا نحن فباقون حتى نفتح مدينة " فريام " . . . ومنْ شاء من الإغريق أن يتبعك فليفعل . . . على أنى أنا ورفيقى " ستينلاوس " مقيمان هنا إلى أن تسقط " طروادة " فى أيدينا ، فقد جئنا غلى هذه البقاع بمعونة إله واحد وسيمنحنا هذا الإله النصر " .

وقام " نسطور " الشيخ على الأثر وقال :

– " ما أمْهَرَك مقاتلاً يا " ديوميدس " وما أبْرَعَك خطيبًا ! فأنت فى الحلْبتَيَنْ صاحب القِدْح المُعَلَّى ، ولكنك فتًى يافع فى عُنْفوان الشباب، فأصِخْ إلى من هو فى عمر أبيك بل جدّك ، ولا إخالُك كما لا إخال "أجاممنون" هازئاص بكلامى ، فليس يهوى الشجار والنزاع إلا الرجل الشريد الخارج عن القانون والوطن . فلنقم الآن بما يمليه علينا الليل : نتناول طعام العشاء ونوصى الحرّاس باليقظة والسَّهر ، وغداً نواجه مصيرنا فإما نصر وإما هلاك ! " .

وقاد " أجاممنون " عندئذ القادة والزعماء إلى خيمته ، وقدّم لهم طعاماً شهياًّ ، فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً حتى امتلأوا ، وفى نهاية المأدبة عاود " نسطور " الكلام وقال :

– " إن " زَفْس " ربّ الرباب قد سوَّدك علينا يا " أجاممنون " ووضعك منا فى مكان الصدارة ، فعليك إذن أن تسمع آراءنا وتختار منها الحسَن والسَّدِيد . . . لقد كنت أنا فى طليعة من ندّد بك وانتقد مَسْلكك، يوم أن شئت أن تسلب " أخيل " فتاته الجميلة " بريزئيس " موجِّهاً بذلك إلى أبرع مقاتلينا إهانة قاتلة . . . فعلينا الآن أن نسعى إليه بثمين الهدايا والألطاف ، وبالكلامٍ الرقيق الحواشى ، حتى نثْنِيه عن عُزْلته ونغريه بحمل السلاح محارباً فى سبيل الإغريق .

فقال " أجاممنون " :

– " نعم يا " نسطور " لقد أعمانى الغضب فتصرّفت تصرف

الحَمْقَى وليس يَضِيرنى وهو البطل العزيز على " زَفْس " أن أسترضيه وأساله ، ولسوف أبعث إليه بهدايا لا تُحْصَى : فمن آنية من الذهب ، إلى جيادٍ مطهَّمة لا يُشقّ لها غُبار فى حَلبَات السبّاقً ، إلى سبعْ أسيرات جميلات يمتزن بالحِذْق والمهارة فى أعمل النساء . . . وعلى رأسهن " بريزئيس " الجميلة . . . فلن رضى أن ينضمّ إلينا ثانيةً محارباً منازلاً ، وسقطت " طروادة " بين أيدينا ، لأخصنّهُ بأوْفَى نصيبٍ من الأسلاب ، وأزوّجَنَّه إحدى بناتى ، وأنصِّبنَّه ملكاً على عديدٍ من المدن والأرضين الواسعة " .

وعلى الفور تداول السامعون فيمن يكون الرسول إلى " أخيل " ، فأجمعوا على اختيار وفد من السفراء يتألف من " فينكس " المحارب الحبيب إلى قلب " زفْس " ومن " أياس " العظيم ومن " أوذيس " الخطيب المفَّوه الحصيف .

وسَبَق الوفد إلى " أخيل " داعيتان يخبرانه بمجىء السفراء إليه ، ويُطْلِعانه على الغرد من تلك لسفارة .

سار الوفد فى محاذاة البحر الزاخر الهدّار ، ونفوس أعضائه ضارعة إلى " زَفْس " أن يُنْجِحهم فى مَقْصِدهم ، وأن يرِقّ لهم قلب " أخيل "، فوصلوا إلى المكان المضروبة فيه خيامُه ، بإزاء الميناء المتجمعة فيه سفنه ، فوجدوه جالساً وفى يده قِيثارة دقيقة الصُّنْع ، مرصّعة بالفِضّة ، يعزِف عليها أنغاماً شجّية ويُنْشد الأناشيد التى تمجّد أعمال



الأبطال فى مجيد الزمان .

وكان " فطْرُقْل " جالساً على مقْرُبة منه ، يصغى بكل جوارحه إلى غِناء صديقه العزيز .

وصل " أوذيس " أوّل منْ وصل إلى " أخيل " ، فنهض هذا واقفاً دون أن يترك قِيثارته ، ونهض معه " فطْرُقْل " ، ثم وصل السّفيران الآخران، فرحّب " أخيل " بالوافدين عليه ومضى بهم إلى خيمته وقال :

– " أهلاًوسهلاً بكم تحت سماء خيمتى ، ومرحباً بكم يا أعز الإغريق علىّ ، ومهما انطوى عليه صدرى من حَنَق وغَضَب ، فلا يَرْقَى إلى منزلتكم الأثيرة فى نفسى " .

ثم دعاهم إلى الجلوس ، وقدّم لهم مقاعد مجلَّلة بنسيج الأرْجوان وقال يخاطب " فطْرُقْل " :

– " هات يا " فطرقل " أغلى الآنية عندى ، وصُبّ منها للضيوف الكرام سائغ الشراب ، فإنهم أحبّ الأصدقاء إلى قلبى " .

وبالغ " أخيل " فى إكرام سفراء " أجاممنون " إليه ، وأولم لهم وليمة فخمة حَفَلت بأطايب الطعام فأكلوا هانئين مسرورين .

ولما امتلأت بطونهم شِبَعاً ورِياً حتى كادت تنبعج ، تغامز السفراء فيما بينهم ، فوقف " أوذيس " وقصّ على " أخيل " الكوارث التى مُنِى بها الإغريق ، وذكر له أيّة هدايا سنيّة يُتْحِفه بها " أجاممنون "

ويطلب إليه ، باسمه واسم القادة والزعماء والجنود أجمعون ، أن يرجعِ إليهم ، ويحارب فى صفوفهم حتى النصر .

فقال " أخيل " :

– " اعلم يا " أوذيس " أنى أكره كرهى لأبواب الجحيم منْ يضُمْر غير ما يُظْهر ، ومنْ تُخْفِى كلماته مكنون صدره ، فأعِرْنى أذُنيك أنبئك بما أحسبه واقع الحق والحقيقة : لقد حاربت فى صفوف " أجاممنون" ، وعرّضت نفسى للهلاك ، وقاسيت أهوال المعارك فما ضعفتُ ولا تقاعسْتُ ، فأىّ جزاء نالنى من هذا كله ؟ إنه يرسل إلىّ اليوم التحف والهدايا ، وإنى لأمْقُت تُحفه وهداياه . . . ففى استطاعتى أن أظفر بأكاليل المجد وثمين الغنائم ، دون أن يمنّ علىّ بذلك ، وغن كنت أعلم علم اليقين ، وتلك نبوءة أمى " تيتيس " أن الموت سيُنْشِب فىّ أظافره وأنا فى رونق العمر وعُنْفوان الشباب . فليلتمس الإغريق إذن العوْن من غيرى ، فشعورى هو هو لم يتغير ، وما أنا مَنْ يعود إلى حمْل السلاح فى وجه " طروادة " " .

فقال عندئذ " أياس " :

– " لم يعُدْ لنا يا " أوذيس " النبيل إلا الانصراف ، فسفارتنا قد أخْفقت ، فهيا نُطْلع إخواننا على هذا الإخفاق و إن آلمنا ! "

ثم التفت إلى " أخيل " وقال :

– " إنك قاسى القلب غليظ الكَبِد يا " أخيل " فما فى جوانحك

رأفة ولاشفقة . لقد أغلق الغضب والحقد قلبك دون أهلك وقومك ووطنك ! ”

فقال ” أخيل ” :

– ” نعم ذلكم جوابى يا ” أياس ” العظيم ! اذهب وقل ” لأجاممنون” إنى لن أمتشق حُسامًا ولن أسدّد رمحاً فى وجه الطّرواديّين ما لم ينقضّوا على مراكبى وخيامى ويحرقوها ، ولكن ثق أنى فى ذلك اليوم أعرف كيف أنكّل بالطّرواديّين ، وأحيل هجومهم إلى هزيمة شنعاء ” .

وعاد السفراء الثلاثة و الألم يعصِف بهم ، ينقلون رسالة ” أخيل ” إلى ” أجاممنون ” وجيش الإغريق .

فتلقَّى المحاربون تلك الرسالة واجمين ثم صاح ” ديوميدس ” قائلاً :

– ” إذن ليختر ” أخيل ” الساعة التى يُؤثرها ، وليخُض ثانيةً غمار الحرب بوحْيٍ من فؤاده ، الآن علينا أن نستردّ قوانا ، ونَستريح من وعْثاء الجهاد ، حتًى إذا طلع الفجر غداً بلونه الورديّ، كنا على حالٍ نستطيع معها القتال فِدى الوطن وفِدى الرئيس ” .





١٠

أخْلد قادةُ الإغريق إلى الراحة ، ودَاعَب الكرى جفونهم فاستسلموا له هادئين ، إلا " أجاممنون " فقد بقِى ساهراً لا ينام .

ولَشَدَّ ما كان يهِيج ويثُور ، عندما تطْرُق مِسْمَعَه أنغامُ المزامير والقهْقهات العالية ، تنطلق من صفوفِ الطّرواديّين فتصِل إليه عبْر الفضاء .

كان الفرح ضارباً أطنابَه عندهم ، و أسباب البَهْجة والأنْس تُفْعِم صدورهم ، وحلَقَات الرقص والغِناء موفورة موصولة ، ونيران الجيش تُنِير سواد الليل ، وجُمْلةُ القول أن كل حركة من حركاتهم

كانت تدُلّ على الغِبْطة والمَرح ، فى حين كان الظلام والسكون مخِّيميْن على صفوف الإغريق .

فتَّتْ تلك الحال فى عضُدِ " أجاممنون " وثقُلتْ وطْأتُها عليه ، وزادته ألماً فوق ألم ، فنهض فجأة وانْتعل مَداسَه ، وألقى على كَتِفَيْه مِعْطَفه الضّخم المصنوع من جِلْد أسد ، وأمْسَكَ بِرُمْحِه ومضى إلى " نسطور" الحكيم يستشيره ويلتمس عنده الرأى الصائب والنّصيحة المُثْلى .

زكان " منيلاوس " على مثل القلق الذى يَنْهَشُ قلب " أجاممنون" ، فقضى ليلته ساهداً مؤرَّقاً ، يفكّر فى الأخطار التى تعرَّض لها جميع الأبطال الذين اجتازوا البحر ، وجاءوا بسببه يقاتلون الطّرواديّين .

فكفّ عن التفكير فجأة ، ولبِس خُوذته ، ورمى على كتِفيْه معْطفاً مصنوعاً من جِلْد فهْد ، وتناول رمحه ، ومضى يَلْقَى أخاه ، فقابله عند الشاطىء فى عُدَّة كاملة من السلاح فقال له :

– " علامَ هذه العُدَّة من السلاح يا شقيقى العزيز ؟ ! أتنوى أن تُرْسِل أحداً يتلصَّص على الطّرواديّين ويعرف ما يفعلون ؟ لا أظنّك تلقى حتى بين الشّجْعان منا من يَنْشَط لمثل هذه المهمَة الخطِرة " .

فلم يُجِبْ " أجاممنون " عن هذا السؤال وراح يُقْنع أخاه أن يذهبا معاً إلى رؤوس قادة الإغريق ، ويوقظاهم من النوم ، ويدعواهم

إلى عقْد مجلس الحرب ، مبتدئين بالحكيم الشيخ " نسطور " .

فاجتاز الشقيقان المُعسْكر ، ووجدوا الحرّاس ساهرين متيقّظين مُرْهِقِى الآذان لكل حركة ونأمة .

فاستقبلهما الشيخ " نسطور " مبتسماً وقال لهما :

– " هكذا تكون الحراسة واليقظة يا ولدىّ العزيزين ! يجب أن نفوّت على الأعداء كل غاية ، ونقضى على كل ما يتخذون من وسائل النصر " .

وعَبَر معهما الخَنْدق ، وتبعهم زعماء آخرون ، وجلسوا جميعًا تحت قُبّة السماء ، وفى مكان بعيد عن ساحة القتال .

حدّثهم " نسطور " فقال :

– " أيها الأصدقاء ! هل فيكم رجل شجاع القلب ، يجرؤ على أن ينْفُذ هذه الليلة إلى معسكر الطّرواديّين ، ويحاول أن يقف على مايُعِدّون من خُطط الحرب ؟ فلو وُجِد هذا الرجل ، وأعادته إلينا الآلهة سالمًا غانِماً لعاش طائر الصّيت وخَلُدَ ذكره على مَدَى الأزمان ،ومنحناه جائزة سنيّة " .

فصاح " ديوميدس " صيحةً اهتزَّت لها جوانب الفضاء وقال :

– " أنا ذلك الرجل ، ولأقومنَّ بالمهمة عن رِضًى وطِيب خاطر . على أنه إذا شاء أحد من الرّفاق أن ينضم إلىَّ ازددتُ به وازداد بى ثِقةً وجُرْأة، وتعاونّا معًا على بلوغ القصد " .

فتقدّم غيرُ واحد من السّامعين ، وطلب أن يَصْحَب " ديوميدس " وكلهم مُتَّقِد غَيْرَة وحماسة ، فقال " أجاممنون " :

– " " ديوميدس " ! أيها الصديق الكريم العزيز اخْترْ أنت رفيقك " .

فقال " ديوميدس " :

– " لو أن لى حقًّا فَضْلَ الاختيار ، لاخترت " أوذيس " ، فإن المرء ليستطيع مع رفيق مثله ، أن يقتحم النار ويخرج منها سليمًا معافى " .

فقال " أوذيس " :

– " لا تبالغ فى إطرائى يا " ديوميدس " " ! فهيا بنا إذا شئت ، فالليل يسير إلى مداه ، والنجوم تغيب نَجْمًا نَجْمًا والفجر غير بعيد " .

فتقلَّد كلٌّ منهم رهيب السلاح ، وسارا إلى غايتهما سَيْرَ أسَدَيْن يبْحثان عن فريسة ، فما من رجل اعترض سبيلهما إلا طرحاه أرضاً عند أقدامهما ، غارقاً فى دمائه .

وتابعا السَّيْر فى جبح الدُّجَى ، فسمعا بعد حين نعيب غُراب يشُقُّ سكون الليل ، فاستأنسا به ، وعدّاه فألاً حسنا يُشِير إلى أن الآلهة تعِدُهما بالنصر .

وحَدَث كذلك فى مُعَسْكر الطروادييين ، فقد عَقَد الزّعماء مجلس الحرب يلتمسون فيه المشورة وصواب الرأى . وعرض فيه البطل " هكطور " أن يمنح جائزة كبيرة ، لمن يذهب فى ظلام الليل يستطلع

طلْع الإغريق بالقرب من أسطولهم ، يَعْرِف هل يُشَدِّد رجال " أجاممنون " الحِراسة ، ويستكشف خُطَطهم ونواياهم .

فنهض " دولون " ، وكان رجلاً زرىَّ المظهر ، ضعيف البِنْية ، ولكنه عدّاء سريع ، وكان يُعَدّ من أغنى أغنياء " طروادة " لما يمتلكه من ذهب وفولاذ فقال :

– " أنا للمهمة التى تطلبها يا " هكطور " ، فسوف أتسلل إلى معسكر الإغريق ، وأرْصُد حركاتِهم ، وأتنسَّم أنباءهم ، وآتيك بالخبر اليقين ، أما الجزاء فجياد " أخيل " وركباته المزدانة بالفولاذ " .

فقال " هكطور " :

– " حُبًّا وكرامة يا " دولون " فما من أحدٍ سواك سوف يمتطى تلك الجياد ! " .

فاعتمد " دولون " قوسه ، ورمى على كتِفيْه جِلْد ذئب ، ولبس خُوذته ، وتناول رمحه ، ومضى يسْترق الخُطا إلى الشاطىء .

وكان " أوذيس " يرْصُد هو أيضاً حركات العدو ، ويراقب متستراً برداء الليل ، فسمع وقْع قدميه السريعتين ، فقال بهْمس فى أذن "ديوميدس " :

– " رجل يَجُوب هذه الأنحاء، ولست أدرى أجا يتجسس علينا أم جاء يسْرِق ما فى جيوب الأموات ؟ والرأى أن نَدعَه يسبِقُنا وأن ننقضَّ عليه بعد ذلك " .

فانتحى الرفيقان ناحيةً بعيدة من الطريق ، وذهب يختبئان بين جثَث الأموات هادئين ساكتين ، كأنهما هما أيضًا جُثّتان هامدتان .

مَرَّ " دولون " غير بعيد منهما راكضًا إلى هدفه ، فجَريا خَلْفَه ، فأحسَّ بأن هناك مَنْ يتبعه ، فوقف يسأل نفسه : هذا القادم إلىّ أتُرَى أرسله " هكطور " ليَثْنِيَنى عمّا ذهبت من أجله ويطلب إلىّ العودة إلى المعَسْكر ؟

ولكنه أدرك بعد قليل أن وراءه عدوًّا يطارده ، فأمعن فى الهَرَب ، وأطلق ساقَيْه للريح . فجدّ " أوذيس " و" ديوميدس " فى اللحاق به ، كأنهما كَلْبا صَيْد يَجِدّان فى أثر غزال نافر أوثعلب هارب ، وما زال المُطارِد والمُطارَد فى سِباق عنيف حتى ظَهَرَ للراكضين خندق الإغريق ومن حوله الحرّاس والعَسسَ ، فصاح " ديوميدس " :

– " قِفْ أيها الرجل وإلاّ رميتك بسهم يسمّرك إلى الأرض " .وأتْبَعَ القول بالعمل ، وأطلق السهم متعمّداً ألاّ يصيبه ، ، فمرّ السهم فوق كَتِف الطروادىّ ، وحطّ مغروساً فى الرمل أمامه ، فامْتُقع وجه " دولون " واصْطَكت أسنانه رُعْبًا ، فأدركه " ديوميدس " و" أوذيس " وهما يَلْهَثان، وقبضا عليه فقال " دولون " وهو يبكى :

– " سألتكما بكل عزيز عليكما أن تبْقِيا على حياتى . . . وعلى سبيل الفِدْية سأعطيكما مقداراً كبيراً من الذهب والحديد والفولاذ " .

فقال " أوذيس " الداهية :

– ” هَوِّنْ عليك فسوف نُبْقِى على حياتك ، ولكن قُلْ لنا ما الذى جاء بك فى حَلَكِ الظلام إلى معسكر أعدائك ؟ ”

فأفشى ” دولون ” والحقير سِرّه . وهو يرتجف من رأسه إلى أخْمَص قَدَمَيْه ، وأطْلَع ” أوذيس ” و ” ديوميدس ” على المهمة التى عَهِد ” هكطور ” فيها إليه ، ثم ألحّا عليه فى السؤال والاستطلاع فكشف لهم عن قوة الطّرواديّين ، وشرح لهما الطريقة المُثْلَى التى يستطيع الإغريق بها دخولَ معسكر أعدائهم فقال :

– ” فى الجانب البعيد من ” طروادة ” يعسكر جنود ” تراقيا ” ، بقيادة ملكهم ” ريزوس ” ولهذا الملك أسْلِحة من الذهب جديرة بأن تكون فى حَوْزَة إله لا فى حَوْزَة بشر ، ولديه مركبات مُحَلاَّة بالذهب والفضة ، وجياد فارهة لم تقع عينى على أجملَ منها ، فهى كالريح عَدْواً وكالثلج بياضًا ” .

أصغى إليه ” ديوميدس ” و ” أوذيس ” فى اهتمام وقلق ، فلما فرغ من حديثه ، ونفض جُعْبَتَه ، سألهما أن يستبقياه أسيراً بالقرب من أسطولهم إلى أن يستوثقا من من صحيح كلامه أو أن يُخْلِيا سبيله فينطلق حرًّا إلى معسكره ، فنظر إليه ” ديوميدس ” نظرةً مخيفة وقال:

– ” لقد ذكرت لنا يا ” دولون ” أموراً خطيرة يهمنا الوقوف عليها، ولكن لا تَرْجُ أن يكون إطلاق سَراحِك ثَمَنًا لخيانتك ، فلن نمكنك

من العودة إلينا متجسّسًا متلصّصًا ، ولا من تجريد السلاح فى وجه الإغريق ، " .

واسْتَلّ بعد ذلك سيفه ، وضرب به عنق " دولون " قبل أن يستطيع هذا رَفْعَ يديه متوسلاً مسترحمًا ، فتدحرج الرأس وتمرَّغ فى التراب عند قدمى " ديوميدس " .

وانْكَبَّ البَطَلان يجرّادنه من سلاحه ، فجمعا قوسه ورمحه ومِعْطَفه وخوذته ، وقرّرا أن يقدّما هذا كله قربانًا للرّبة " مينرفا " فربطا ذلك السَّلَب إلى جَذْع شجرة ، وغطّياه بمجموعة من الأغصان على نحو يستدلان عليه إذا رَجَعا قبل بُزُوغ الصباح .

ثم أسرعا فى اجتياز السهل إلى معسكر " تراقيا " ، وكان الجند غارقين فى سُبات عميق ، وإلى جانب كل منهم سلاحه وجواده ، وكان ملكهم يتوسّطُهم مستسلمًا هو أيضًا إلى هَناءَة النوم ، وعلى مَقْرُبَة منه جياده البِيض مقطورة إلى مركبته الفخمة ، المزدانة بالفضّة والذهب ، فقال "أوذيس " :

– " قِفْ يا " ديوميدس " فهذا هو الرجل ، وتلك هى جياده التى حدَّثنا عنها " دولون " ! " وابتدأت المذْبَحة .

وعلى غِرار أسَد يفاجئ قطيعاً من الغنم بلا راع ، وينقضُّ عليها ، انقضَّ " ديوميدس " على جند " تراقيا " ، وكال لهم الضَّربات ذات اليمين وذات الشمال حتى ارتوتْ من دمائهم الأرض ، وملأ الفضاء

أنينُ المُحْتَضَرِين .

أطاح " ديوميدس " باثنى عشر رجلاً ، وكان كلّما هَوَى أحدهم متخبِّطًا بدمائه فاقدَ الروح ، وأمسك به " أوذيس " من قدمَيْه ، وطرحه جانبًا حتى لايزدحم به الطريق ، ولا تضطّر جياد " ريزوس " البيض إذا عادا بها ، أن تدوس بسنابكها جثث الموتى فتَجْفُل ويتملّكها الذعْر فى وسط الظلام .

وكانت الفريسة الثالثة عشرة التى قدف بها " ديوميدس " إلى عالمِ الأموات ، هى " ريزوس " نفسه ، فقد كان يَحْلُم وهو نائم ، حُلْمًا مزعجاً جعله يتقلّب متقطِّع النَّفَس ضيّقه ، ويئنّ شاكياً متبرّماً ، فما إن يَغرِس " ديوميدس " رُمحه فى صدره ، حتى ينتقل ذلك النائم المضطرب ، من الحلم إلى الموت ، دون أن يفتح جفنَيْه على عالم الأحياء .

فَكّ " أوذيس " أرْبِطة الخيل ، وأعْوَزَه السوْط فضربها بقوسه وساقها أمامه .

ثم أطلق من فمه صفيراً معلوماً كان سرّ التفاهم بينه وبين رفيقه ، ومعناه أن يقِف " ديوميدس " مْجزَرته ، ويخفّ إليه ليساعده على حمل الغنائم .

تردّد " ديوميدس " ورَجَع لنفسه يسائلها ، أيتابع إزهاق الأرواح أم يطير إلى رفيقه ويعينه على جَرّ الأسلاب ، وفى مقدّمتها المركبات الفخمة .

وبينما كان يقلّب وجوه الرأى متردّداً حائراً ، ظهرت له " مينرفا " وقالت له :

– " عُدْ إلى مقربة من الأسطول يا " ديوميدس " ولا تنتظر حتى يَعْمِد إله من الآلهة إلى إيقاظ الطّرواديّين ، فتُضْطَّر عندئذ أنت وزميلك إلى الهرب " .

وكان " أبولون " فى هذه اللحظة قد أيقظ أحد أقارب " ريزوس " ، فهاله أن يرى الأرض مفروشة بالمَوْتَى والمائتين ، وأن يجد أمكنة الخيل خالية خاوية ، فنادى بالوَيْل والثبُور ، فهُرِع إليه الطّرواديّون من كل حَدَب وصَوْب .

وسُرْعان ما امتطى كلّ من " ديوميدس " و " أوذيس " صَهْوَة جوادٍ أبيض ، وطار به إلى معسكر الإغريق أسْرَعَ من زَبَد الموج فى يومٍ عاصف شديد الأنواء .

وصل البطلان إلى الشجرة التى رَبَطا عند جِذْعها سلاح " دولون " حين انْتَوَيا تقديمه قربانًا الرّبة " مينرفا " فترجّل " ديوميدس " وأخذ السَّلَب ووضعه فى يدى " أوذيس " ثم قفز إلى مَتْن جواده وغَمَزَ كل فارس شاكِلَة جواده فجرى به خَبَبًا يسابق الرّياح . واسْتَرعَت انتباه الشيخ " نسطور " حوافرُ خيل تَضْرب الأرض ، فطارتْ نفسه شَعَاعًا وسارع يفضى بالأمر إلى بقية زعماء الإغريق فهَبُّوا كلهم يترقبون الفرسان القادمين إليهم ، ويتأهبون للقائهم بماضى



السلاح إذا كانوا من زُمْرة الأعداء .

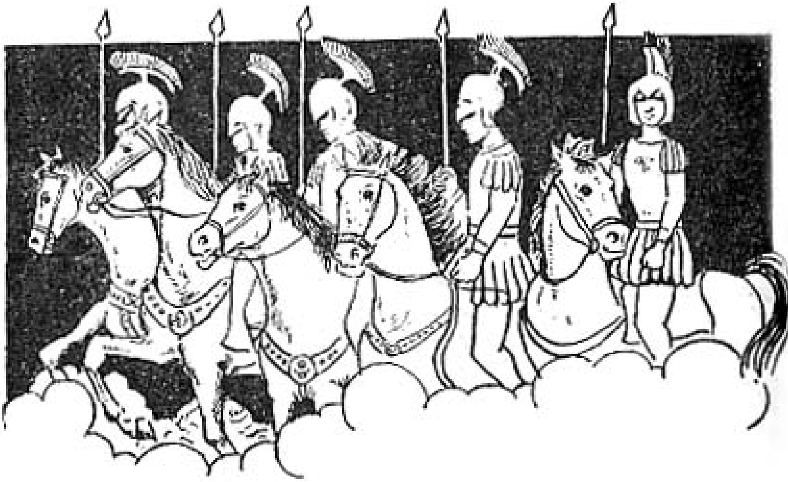
ولا تَسَلْ عن غِبْطَتهم حين رأوا " ديوميدس " و " أوذيس " يَقِفان جواديهما ، ويُرْخِيان الأعنة ، ويَثِبان إلى الأرض ، فرحَّبُوا بهماَ أجمل ترحيب ، وحَيُّوَهما أحسن تحية .

وروى " أوذيس " لرفقاء السلاح ما قام به هو و " ديوميدس " من أعمال باهرة ، ثم مضى والدنيا لا تَسَعُه من الفرح ، إلى الجوادين فقادهًما عَبْرَ الخَنْدَق إلى الإسطبل الذى يُؤوِى بقية جياد " ديوميدس " .

وشعر " ديوميدس " و" أوذيس " بحاجتهما إلى الراحة والانتعاش، فارتميا فى أحضان البحر الواسع ، يغسلان بأمواجه الباردة ما عَلِقَ بجسميهما من عَرَق وغُبَار .

وخرجا من البحر وهما على جانب عظيم من القوة والنشاط ، فأكلا وشربا مسرورين مبتهجين ، وارتفعا بالروح إلى الرّبة " مينرفا " يقدّمان لها فروض الشّكر ، على حين كان الطّرواديّين فى تلك الأثناء ، يبكون وينتحبون على ما أصابتهم به الهزيمة فى تلك الليلة من ذُلٍّ وعار .





١١

مَضَى الهَزِيع الأخير من الليل ، وبدأ الفجر الأغْبَر ينَشْقَ ّعَنه ، فهَبّ الأبطال يشُنُّون الغارات ، ويستأنِفُون القتال ، ويخوضُون معارك دامية .

وكان " أجاممنون " فى الطليعة ، يناضِل نِضالَ الأسود حتى انتصف النهار ، ولكنّ الآلهة كانت حرباً عليه ، فاضطرَّ هو وكثير غيره من المحاربين أن يَهْجُروا ساحة الهيجاء مُثْخَنِين بالجراح . وكان الطبيب الإغريقى الماهر " ماخاوون " قد أصِيبَ فيمن أصِيب، رماه " فاريس " بسهم نَفَذ إلى جَنْبه ، فلما عَلِمَ الإغريق أن الذى

يأسو جِراحَهم ، ويعرِف أسرار الطب والتَّضْمِيد ، قد أصبح هو نفسه فى عداد الجَرْحَى الذين يحوم حولهم الموت ، ساورهم القلق ، وانتابهم ذُعْر شديد .

عَكَف " نسطور " الشيخ على الطبيب الجريح فنقله إلى مركبته ، ورَجَع به القَهْقَرَى على طول الشاطىء إلى خيمته .

وكان " أخيل " جالساً فى مُؤَخَّر سفينته يرلقب عن بُعْد كيف تسير المعركة ، فلَمَح " نسطور " قادماً بمركبته ، فأرسل صديقه الحميم "فَطْرُقْل" يستَقْصِى اسم الجريح ، ويأتيه بأخبار المعركة .

قَسَا " نسطور " فى الرد على " فَطْرُقْل " وقال :

– " عَلاَم سؤال " أخيل " عن اسم الجريح ؟ وماذا يهمه من أمره؟ أمشْفِق هو على أبناء الإغريق فيتحرَّى عنهم وبيستفسر عن أيّهم سقط جريحاً ؟ كم من الإغريق أراقوا دماءهم اليوم فلم يُحَرِّك ساكنًا ؟ أتذكر يا "فَطْرُقْل " يومًا حَدَّثك فيه أبوك عن " أخيل " وعن نفسك فقال : " إنك يا ولدى أكبر منه سنًّا وهو أشرف منك مولداً . إنه أقوى منك ولكنه ينقاد إلى رأيك ونصيحتك إذا بذلتَهما له فى رِفْق ورِقة " .

فعليك اليوم يا " فَطْرُقْل " أن تبذل مساعك الحميد ، وتحمله على أن ينضمّ إلى إخوانه محارباً جسوراً ، فإن أبَى فاقْترِضْ منه سلاحه يهربْ منك رجال " طروادة " ، ظنًّا منهم أنك هو القَرْم العنيد والبطل المِغْوار " .

أثّر هذا الكلام فى فؤاد " فَطْرُقْل " ونَكَص على أعْقابه راجعاً إلى "أخيل " .

واحتدمت المعركة ساعةً بعد ساعة احتداماً وبَيلاً ، وحاول الطّرواديّون أن يشقُّوا لهم طريقاً إلى السور الذى بناه الإغريق ، غير حافلين بالحجارة التى تنهالَ فوق رؤوسهم انهيالَ المطر .

وصل الطّرواديّون مع ذلك إلى أبواب السُّور ، وكان على مَقْرُبة منه حَجَر ضخْم يَعْجِز عن رفعه رجلان من أشِدّاء الرجال ، فاقترب من "هكطور " العظيم وتناوله بيد واحدة ، وقذف به الباب الكبير فتحطّم مصراعاه وتطايرت شظاياه وفتحت فيه ثغرة نفذ منها " هكطور " إلى معسكر الإغريق ، والغضب يتّقد فى عينيه ، وهيهات أن يصدّه غير إله ، فاندفع الطّرواديّون على أثَرِه ، ودحَرُوا الإغريق إلى مراكبهم . واسْتَبْسَل " أياس " أيَّما استِبْسال ، واستمرَّ يحارب ، وظَهْرُه إلى البحر، ومن حوله كتائب الإغريق تدافع عن مواقعها شِبْراً شِبْراً ، وتواجه العدو بحائط حَيٍّ من البشر ، يرحّب كلُّ بالموت ، إذا تعذَّر النصر ، فِدى الكرامة والوطن .

أرأيت إلى الصخرة الصّماء ، تدحرجها أعاصير الشتاء من قِمة الجبل إلى السَّفْح ، فتهوِى إلى الوادى بدوىٍّ كأنه هزيمُ الرعد ، حاملة معها الدّمار والموت ، هكذا انقضَّ " هكطور " مُلاعِب الأسِنّة وحمَّال الموت ، تتكدّس القَتْلَى وراءه ، ويختلط أنين الجَرْحَى

بِجَلبَةَ الحرب ، وتُغْمِض يد الموت أجفان العَديد من القادة الأبطال .

فصاح فيه " أياس " :

– " أتظنّ يا " هكطور " أنك تستطيع سَحْق جيشنا وإغراق مراكبنا؟ فاعلم أن الآلهة هى السبب فى نكبتنا لا جيش " طروادة " فما هى إلا فَتْرة قصيرة من الزمن ، حتى تسقط " طروادة " تحت وابِل ضرباتنا ، فتتوسّل أنت عندئذ إلى الإله " زَفْس " أن يَهَب جيادك أجنحة الصقور ، لتحملك إلى " طروادة " مغلوبًا مهزوماً تحفّ بك سُحُبُ الغِبار " .

فردّ " هكطور " على" أياس " قائلاً :

– " ويْلَك من مغرور صفيق الوجه ! إن ذلك اليوم الذى تتحدث عنه ، سيَشْهَد هزيمة الإغريق المُنْكَرة ، ولئن أهابتْ بك الشجاعة ، وعرّضت نفسك لطعنات رمحى ، لأجعلنَّك طعاماً للعِقْبان والكلاب ! " .

وكان " أجاممنون " فى خيمته ، تلْسع صدره عقاربُ اليأس والقلق ، فزيّن له بعضُ رفاقه المحيطين به ، أن يُصْدِر أمره للجيش بالانسحاب ، والفِرار إلى السفن ، والإقلاع بها منشورة الشراع إلى الوطن .

دار هذا الكلام فلى خلد " أجاممنون " فرَضى به ، وقَنع من الغنيمة بالإياب وقال :

– " لا عار من الفِرار إذا ضاع الأمل ، وتوالت علينا الهزائم ! "



فامتعض " ديوميدس " و " أوذيس " من ذلك الكلام ، وأبَيَا أن يستجيبا لرأى رئيسهما فقال " ديوميدس " :

– " بل العار كل العار ! . . . فاحْزِمُوا أمْركم على معاودة القتال على ما نحن عليه من ثخين الجراح . . . "

وفعلتْ كلمته فيهم فِعْل السِّحْر ، فمشَوْا إلى النزال وعلى رأسهم "أجاممنون " ، ودارت الحرب أفْظع ما تكون بين المحاربين .

نزل الإغريق الميْدان ، وفى نفوسهم عزم الجبابرة على انتزاع النصر ، ولو من قُبّة الأفلاك وجَبَهات الأسود .

وما زالت الحرب سِجالاً بين الفريقين ، حتى أصيب " هكطور " بحجر ضخْم قذفه به " أياس " فخرّ بعده منطرحاً إلى الأرض ، كأنه دوحة عظيمة اقتلعها من جذورها صاعقةٌ من الصواعق ومدَّدتها على وجه الثرى ، فحمَله الطّرواديّون وابتعدوا به من ساحة المعركة ، وفمهُ ينْزِف دماً صبِيباً .

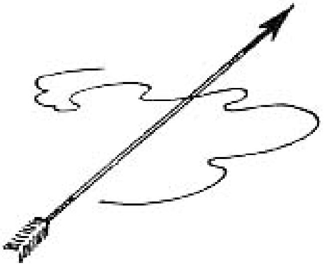
فشعر الإغريق عندئذ بالشجاعة تتضاعف فى جوانحهم ، فكروا على العدو كرّات رهيبة فتقهقر بعيداً من سفائنهم .

وعزَّ على " أبولون " العظيم أن يندحر " هكطور " على تلك الصورة ، فهَبَط إلى حيثُ كان مُمدَّداً على الأرض ، تكاد تفارقه أنفاسه ، ونفخ فى جسمه الضعيف المتهالك رُوحاً جديداً ، وقوّةً علوْيّة توازى قوّة عشرة محاربين أشدّاء ، فانتعش " هكطور " ونهض بقامتِه

الفارِعة ، وعضلاته الحديدية ، يصُبُّ جاماتِ غضبه على الإغريق، فذُعِروا وتفرّقُوا بَدَداً .

وكان " فَطْرُقْل " إذ ذاك ، مشغولاً تحت خيمته بتضميد جراحِ صديق عزيز عليه ، فطرقت مِسْمَعَه جَلَبَةُ الهاربين ، فتنهَّد متألمًا حزيناً ، وقال فى نفسه :

– " علىّ أن أسارع إلى " أخيل " ، فقد آن ولا شك أن أوغِر صدرَه على الأعداء ، وأن أحْمِله بكلماتى الصادقة إلى أن يُهْرِع إلى القتال .





١٢

بينما كان الإغريق يحاربون على مَقْرُبَةٍ من مراكبهم ، كان " أخيل" يسمع ضوضاء المعامع وهو قَصِيٌّ بعيد ، ويرى الإغريق يتساقطون إلى الأرض مُضرَّجين بدمائهم ، ولا تهتزّ له خَلْجَة من فؤاد .

فجاءه " فطْرُقل " وهو يبكى بكاء الأطفال ، فلما رآه " أخيل " على تلك الحال سأله قائلاً :

– " لماذا تبكى يا " فَطْرُقْل " ؟ ! إنك تشبه طفلة تتشبّث بأهداب أمها وتعِيقها عن السَّيْر ، وتنظر إليها بعبرات مسفوحة ، حتى ترفعها أمها إليها وتضمّها إلى صدرها . . . هكذا أنت تبكى يا " فطْرُقْل " ففِيم هذا الدَّمْع الهتُون ؟ ! " .

فقال له " فطْرُقْل " وهو لا يزال يبكى وينتحب :

– " حَنَانَيْك يا " أخيل " ! إن نُخْبة النُّخَب من رجالنا الشجعان الصناديد ، يفترشون الأرض على مقْرُبة من سفننا بين ميّتٍ وجريح ، وأنت مقيم هنا لا ترأف ولا تصْفح ، ولا تهتزّ للمحن التى تَفْتُك بإخوانك فتْكاً ذريعاً ، فمِنْ أى صخرٍ وفولاذ قُدَّ فؤادك فلا يخْفق ولا يختلج ؟ ! سمْعك يا " أخيل " ! إذا كنت مُصِرًّا على أن تظلّ بِمَنْأى عن الحرب، فأعطنى ، ناشدتك الآلهة ، سلاحك حتى أحضر الوَغَى ، وأنافح عن وطنى بدلاً منك ، فإن أسْعف الحظ ، وحسِب الطّرواديّين أنى " أخيل " العظيم الذى لا يُقْهر فقد نظفر بالنصر المُبِين " .

فقال له " أخيل " وشعورُ المرارة والألم لا يزال يجيش فى صدره :

– " أتنسى يا " فطْرُقْل " أن هؤلاء الإغريق الذين تتحدّث عنهم، هم الذين حرمونى مكافأتى التى كسبتُها بحرّ الجهاد ؟ وكيفما كان الأمر ، فما فات قد فات ، وعَفَت الآلهة عمّا مضى ، فما من أحد يطوى فؤاده على حقد دائم . . . لقد كنتُ أقسمتُ أن أظلّ غريبًا

عن القتال ، ما لم يُجَنّ هؤلاء الطرواديون ويعمِدُوا إلى إحراق سفنى . وعلى كلٍّ ، إليك سلاحِي وعُدّتى إليك إن شئت رجالى فقُدْهُمْ إلى القتال ، واكْتَسح الطّرواديّين وأقْصِهم عن الأسطول ، ولكن حذارِ أن خاطر بنفسك ، وتقاتل فى السهل دون أن أكون معك " .

وحَدَث ما كان قد توقَّعه " أخيل " فما زال " أياس " العظيم يضرِب و يطعن ، ويُقْبِل ويُدْبِر ، ويَصُبّ المنايا على رؤوس الأعداء ، حتى كلَّ متْنُه وخارت قواه ، واندفع الطّرواديّون اندفاع المجانين إلى ناحية السفن، يرمُونها بقذائف النيران ، ويُشْعِلون فيها الحرائق ، حتى بلغت ألسنةُ اللَّهب كبِد السماء .

نظر " أخيل " إلى هذا المشْهد ، فضرب بكفّه فخِذه وقال :

– " أسْرِع . أسْرِع يا " فطْرُقْل " إنهم يحْرُقون سفننا . تقلَّد السلاح ريْثما أجْمع رجالى " .

تقلّد " فطْرُقْل " سلاحه البرّاق ، وارتدى الدِّرْع ، وتناول التُّرْس ، ولبِس الخُوذة ورمى فوق كتفه السيف المُحلَّى بمسامير الفضّة وأمسك بيده رمحين طويلتين ثم قفز إلى مركبة " أخيل " وأعنّة الخيل فيها مجموعة فى يدى " أوتوميدون " أمهر سائق على الإطلاق .

وماج رجال " أخيل " كالبحر الزّاخر ، وبلغت حماستهم أشُدَّها ، وتأهّبوا للقتال بعد ركود ، فرحين مغتبطين .

فقال لهم " أخيل " يخاطبهم :

– " لقد تذمَّرْتم طويلاً ، وهَمْهَمْتم كثيراً بعد إذ صرفتكم عن القتال وأنتم توّاقون إليه ، فها هو ذا يومكم العظيم قد أقبل ، ومعركتكم الكبرى التى طالما تمنيتموها قد حلّ أمَدُها ، فسيروا إليها ، وخوضوا غِمارها ، واملأوا الساحات بجُثَث الأعداء ، وانتزعوا منها راية النصر واالظَّفر " .

فهلَّلُوا وهتُفُوا ، وساروا إلى الحرب أسوداً غِضاباً ، يقود جموعهم "فَطْرُقْل " الشّجاع . وبقى " أخيل " فى خيمته يناجى " زَفْس " ربّ الأرباب ، ويرفع إلى عرشه الأدعية والصَّلوات .

التحم الرجال فى قتال عنيف ، وطارت السِّهام إلى أهدافها ، وأبْلَت الرماح بَلاءَها ، ولمعت السيوف صاعدةً هابطةً فى وسط العَجاج ، فكم من بطل خطِف روحه سيفُ " فَطْرُقْل " . ولشدَّ ما أنتاب الطّرواديّين الذُّعُر والهلع عندما رأوا سلاح " أخيل " يبْرُق ويتألّق فى مركبة " أخيل " .

تقهقر الطّرواديّون عن الشاطىء تقهْقُر الموج عند الجَزْر ، وأخْمِدت الحرائق . وانتقل القتال إلى الخنادق فامتلأت بالجثث الهامدة وحَشْرجة المنازعين .

وساق " فطْرُقْل " جياد " أخيل " إلى وسط السهل ، فتراجع "هكطور " حتى أسوار " طروادة " .

وشاء " فَطْرُقْل " أن يحول بين الطّرواديّين وأسوار مدينتهم ، فأدار

مركبته ودفع بالهاربين إلى وجهة السفن ، فصدمت جياده المندفعة اندفاعَ الأعاصير كثيراً من الجياد الأخرى ، فانقلبت إلى الأرض ، بما تجرّ من المركبات وتهاوَى ركّابها ، وأدركهم " فَطْرُقْل " بضرباته فأخْمد أنفاسهم، وكان فى ذلك اليوم بطل المعركة وحاصِد الأرواح .

وكان هناك بين أبطال " طروادة " ، رجل واحد بقِى رابِط الجأش قوىّ الفؤاد ، لم تضعضعه أعمال " فطْرُقْل " الباهرة ، ذلكم هو البطل "سربيدون " . فصرخ فى رجاله وقال :

– " يا للعار ! إلى أين تريدون الفِرار ؟ ! قِفُوا ولاتَهْرُبوا ، فأنا لهذا الرجل الذى اكتسح جيشَنا وأشاع فينا الدَّمار والهلاك " .

قَفَزَ " سربيدون " و" فطرقل " معاً إلى الأرض ، وأطلق " فَطْرُقْل " سهماً سدّده إلى " سربيدون " فأخطأه ، ولكنه أصاب سائق مركبته فمات على الأثر ، فرّد عليه " سربيدون " بسهم غار فى الفضاء وحطّ على كَفَل الجواد " بيداسوس " أحد الجياد الثلاثَة التى تجرّ مركبة " أخيل " فسقط متمرِّغاً فى التراب ، وجرّ معه الجوادين الآخرين " كاسوس " و "بالى " ، فَوَثَب " أوتوميدون " يسرعة البرق من المركبة ، وقطع بسيفه أرسان " بيداسوس " فنهض أخواه واتخذا مكانهما من المركبة .

وسدّد " سربيدون " سهماً آخر إلى " فطْرُقْل " فأخطأه فى هذه المرة أيضاً ، ولكن مسَّه مسًا خفيفاً فى كَتِفه ، فلم يؤخر " فَطْرُقْل "



الجواب ، فصوّب سهمه إلى " سربيدون " وأصابه فى قلبه ، فسقط إلى الأرض كما تسقط سنديانة كبيرة جزّتها فأس الحطّاب .

والتفّت جماعة من المقاتلين الطّرواديّين حول جثة " سربيدون " يريدون أن يثأروا له فأرداهم " فطْرُقْل " جميعاً .

وشاء الإله " أبولون " المخيف ، ألاّ يَنْعَم الإغريق بانتصارهم ، فقرّر أن يدخل المعركة فى جانب الطّرواديّين .

لم يكْتفِ " فَطْرُقْل " بمن أباد من المقاتلين المنطرحين عند قدميه ، فأراد أن يواصل زَحْفه ويضاعف عدد ضحاياه ، فحاول أن يتسلّق سُوراً من أسوار " طروادة " العالية ، فصدَّهُ " أبولون " عن مبتغاه ثلاث مرّات .

ولما همّ بالتصعيد فيه رابع مرّة أنذره " أبولون " وحذّره من مَغَبَّة عمله، وأنهى إليه أنه إنما يعاند إلهًا لا يقوى على غضبه .

وجرى " هكطور " بمركبته إلى " فطْرُقْل " يريد أن يقضى عليه ، فلما رآه " فطْرُقْل " منقضاًّ انقضاض الصواعق ، قفز من مركبته ، وتناول حَجَراً حاداًّ ورمى به عدوَّه فكاد يصيبه لولا أن تزحزح " هكطور " قليلاً عن مكانه ، غير أن الحجر لم يذهب ضياعاً ، فقد شجَّ رأس السائق وأرداه قتيلاً ، فأخذ " فطْرُقْل " يستهزىء به ويُعَيِّره ويقول :

–" وحق " زَفْس" إن هذا الرجل لغوّاص ماهر ، فلئن كانت قُدْرته على الغوْص من أعالى السفن إلى البحر ، توازى مَهارته فى

السقوط من المركبات ، ليكوننّ من أبْرع صيادى اللؤلؤ ! "

وَوَثَب " هكطور " أيضًا من مركبته ليدافع عن جُثَّة سائقه ، فنَشِبت منِ حولهما معركة شديدة الهول عظيمة الدَّوِىّ يشبه صوت السلاح فيها صفير العاصفة عندما تقتلع أشجار الغابات .

وكانت كفّة الإغريق هى الراجحة ، وقام " فَطْرُقْل " بثلاث هَجَمَات طرحت كلٌّ منها عند قدميه تسعة محاربين ، وعندما همَّ بالهَجْمة الرابعة اعترضه " أبولون " وألحق به الهزيمة .

أقْبَلَ " أبولون " ملتحفاً بضَبابٍ كثيف فلم يَرَهُ " فَطْرُقْل " ، ولكنه شعر بقبضة علوية تضربه فى ظهره بين كتِفيْه العريضين ، وبيد تنْزِع من رأسه خُوذة " أخيل " وتطرحها تحت حوافر الخيل ، فترنّح " فَطْرُقْل " خائفاً مذعوراً ، وتحطّم رمح "أخيل " بين يديه ، وسقط التُّرْس العريض إلى الأرض ، وتقدّم إليه محارب طروادىّ وطعنه من الخلف طعنةً نجلاء بين كتِفيه .

وأراد " هكطور " أن ينال هو أيضاً من البطل الجريح ، فطعنه فى جنبه برمحه المسموم طعنةً شديدة فسط " فطرقل " ، واصطدم سلاحه بأديم الأرض ، فسُمع له دوىّ عظيم .

فصاح فيه " هكطور " :

– " آه ! لقد تملّكك الغرور ، وزعمت أنك ستكتسح الرجال ، وتهدم الأسوار ، وتفتح " طروادة " ، وها أنت ذا ستصبح عما قليل

طعاماً للعِقبان والكلاب ! "

فقال له " فطْرُقْل " بصوت خافت :

– " إيه " هكطور " النبيِل ! لقد انتصرت علىّ ولكن لست أنت الذى هَزمنى ، فقد كان فى مقدورى أن أهزم عشرين رجلاً مثلك ، وأطرحهم يَلْعَقُون التراب ، غير أن الآلهة هى التى قضت بهلاكى . فاعم يا هذا أن أيامك هى أيضاً معدودة وإنى لألمح شبح الموت يحوم حواليك " .

أنهى هذه الكلمات ، فخَفَت صوته ، وثَقُل سمْعُه ، فما عاد يتبيّن جَلَبَة المعركة ، وحامت حوله أشباح المنيّة ، ففارقت روحه الجسد ، وخيّم السكون من حوله إلى الأبد .





١٣

بلغت المعركة التى كان " فطْرُقْل " يقودها مبلغاً شديداً من العُنْف والهوْل ، وازدادت بعده موته حِدّة واحتداماً .

فما هو أن يُصْرَع " فطْرُقْل " وتُنْشِب فيه المنيّة أظفارها ، حتى يُقْبل عليه " هكطور " ، ويجرّده من سلاح " أخيل " اللمّاع البرّاق الذى كان يتقلّده ، ولقد همَّ بعد ذلك بأن يجرّ جُثة " فطْرُقْل " إلى أسور " طروادة " ويلقيها فريسة للكلاب ، على مرأى ومَسْمَع من الإغريق وجيشهم ، إمعاناً فى الإهانة و الإذلال ، ولكنهم أبوْا إلا أن

يحْمُلوا جثّة قتيلهم ، فوقفوا دونها ذائدين عنها بأرواحهم ، حتى يجنّبوها المصير المهِين ، فعادت الحرب إلى سِيرتِها الأولى من الضَّرْب والطّعان ، واصطبغت الأرض ثانيةً بدماء الضحايا ، وبلغت جَلَبة المعارك عَنان السماء .

وفى هذه الأثناء ، ترك مَيْدان القتال عَدّاء إغريقى من أسرع العدّائين، وطار إلى " أخيل " يخبره بجليّ الأمره ، ويصيح فيه قائلاً :

– " مات " فَطْرُقْل " والمعركة دائرة الآن حول جُثته بعد أن استولى " هكطور " على سلاحه ! "

فأرْغَى " أخيل " وأزْبَدَ ، وحزّ فى صدره الأسى والألم ، فاقتلع بيديه شعره الجميل ، وارتمى إلى الأرض متمرّغاً فى التراب حزناً ويأساً .

وَصَل صَدَى غمّه وألمه إلى أمّه الرّبة " تيتيس " وهى جالسة فى قصرها تحت أعماق البحر ، وعلى الأثر هبّت تخترق طبقات الماء ، وتشقّ الأمواج فتنحسر أمامها ، وتفْسح لها فى الطريق ، حتى وصلت إلى ابنها فقبّلتْ رأسه ، وأصغت إليه ، فى حنانٍ ما بعده حنان ، يحدّثها عن موت "فطْرُقْل " صديقه العزيز الحبيب .

فطّيبت خاطره وقالت له :

– " اعلم ياولدى أن " هكطور " لن يفخر طويلاً بحمْل سلاحك ، فإنى أرى الموت يحوم حوله . . . ولكن حذارِ أن تذهب إلى قِتاله قبل أن آتيك بسلاح جديد أجْمل وأمْضى من السلاح الذى استولى عليه " .

وطارت إلى " الأولمب " ، وبَقِى " أخيل " وحده تستعر نار الحزن فى جوانحه ، وتأكل صدره الآلام والحسرات .

وبينا هو على تلك الحال من الهمّ والغمّ ، إذ وقفت عليه " إيريس " مبعوثة الآلهة إليه فقالت :

– " عجّل يا " أخيل " عجّل . . . فالطّرواديّون يهمّون بِجرّ جثة صديقك الحبيب إلى أعالى أسوار " طروادة " ليمثّلوا بها تمثيلاً . . . فانزل المَيْدان ، وأظْهِرْ نفسك للطّرواديّين بغير سلاح ، تُرْهِبْهم وتُرْعِبْهم ، وتمنعهم من أن يلحقوا بك وبجثة صديقك عار المذلّة والهوان . . . "

استجاب " أخيل " لتلك الدعوة ، فنهض وسار إلى ساحة القتال حتى وصل إلى حافة الخَنْدَق وهو أعزل ، وصاح فى العدو صيحةً ارتجّت لها أركان الفضاء .

فما إن سمع الأعداء صرخته المدوّية كالرعد ، وتبّنوا صاحبها حتى ملأ الرعبُ قلوبَهم ، وضربت الفوضى بينهم أطنابها فلاذوا بالفِرار فى بلْبلة واضطراب .

واستطاع الإغريق بعد تلك الحال أن يظفروا بجثة " فَطْرُقْل " ويحملوها إلى معسكرهم ، فى حين كان " أخيل " يذْرِف الدَّمْع السّخين على جثّة رفيقه العزيز الذى لَقِىَ حَتْفَه فى معركةٍ أرسله هو يخوض غَمَراتِها .

وفى مأوى الآلهة الخالدة ، قضَى " فلكان " الإله الأعرج ليلته تلك ، يطرق على سَندانه الفولاذ والفضة والذهب طَرْقَ القَيْنِ الماهر ، ويصهر هذه المعادن فى البُوتقة ، ثم تشكلها يَدُه الصَّناع أسلحةً جميلةً ماضية سوف تُهْدَى بعد قليل للبطل " أخيل " .

وكانت تحفّ به فتيات حِسان ، يخدمنه ويساعدنه على النَّفْخ فى الكير ، فيلعب الهواء بأطراف مِرْجَلِهِ وتتراقص فيه ألسنةُ اللَّهَب .

وفَرَغ من عمله ، فإذا بين يديه أسلحةلم تقع اعين على أجملَ منها ، ولا عَجَب فإنما هى صنع إله حاذق ، فمن تُرْس منيع ثمين ، إلى دِرْع سابغ برّاق بريق النجوم ، إلى خُوذة يتوسّطها عرْفٌ من الذهب .

وفى صبيحة اليوم التالى ، طارت الرّبة " تيتيس " من قِمّة " الأولمب" المكلَّلة بالثلوج ، وسبحت فى الفضاء كما يسبح العُقاب الكاسِر ، حاملةً بين ذراعيها سلاحاً ثميناً دقيقاً ، صنعه إله قدير وقدمه هدية للبطل "أخيل " .

رأى " أخيل " ذلك السلاح العجيب ، فاهتزّت جوانحه طرباً ، على ما يجيش فى صدره من حزن وكآبة ، وشاء أن يجمع شمْل الإغريق فصاح فيهم صيحة الحرب ، فَلَبَّوْا جميعهم النداء ، وخفّوا حتى الجرْحى منهم إلى معاودة القتال .

وأقبل كذلك " أجاممنون " رئيس الجيش الأعلى وهو جريح ، فنَسِى البطلان شِجارَهُما القديم ، وتحدّثا معاً حديث الأخوين الشقيقين .

ومشى الجند إلى غايتهم تغمرهم أشعّة الشّمس ، ولكن كم من هؤلاء الجنود يرى قُرْص الشمس للمرة الأخيرة . . .

وسار على رأسهم " أخيل " وهمُّه الدّفين فى صدره أن يثأر لصديقه " فَطْرُقْل " ، وقادهم إلى لقاء الطّرواديّين فى السهل الرحيب ، وتقدّم الصفوف كالعاصفة المجتاحة ، يضرب ويطعن فلا يُبْقِى ولا يَذَر ، كأنه النار التى تأكل الغابات وتقضى على الدَّوْح والشجر .

وتقهقر العدو هارباً إلى ضفاف نهر " ساكا مندر " ، فلحق به هو ورجاله ، وكان للطّرواديّين الضَّربات القاصمة ، لا تأخذه فيهم رحمة ولا شفقة ، حتى امتلأ النهر بجثثهم ، وصبغت الدماء مياهه ، وهو مع ذلك لا يملّ ولا يَكِلّ ، كأنما يلذّ له أن يرى الدماء تُراق ، والأجسام تتهاوى قتيلةً صَرْعَى .

وعزّ على النهر أن تجرف مياهه تلك الآكام من الجثث ، فتملكه الغضب وصاح فى " أخيل " قائلاً :

– " لقد سددتَ علىَّ مَجْراى وأنت لاتنفكّ ترمينى بجثة بعد أخرى ! "

فلم يعبأ " أخيل " بكلام النهر ، فانتفخ هذا مَغِيظاً مُحْنقًا ، ورمى بالجثث إلى ضِفافه ، وشدّ بأمواجه على " أخيل " يريد أن يسحبه إليه ، غير أنه ما كادت الأمواج تمسّ تُرْسه ، حتى أمسك بأغصان دوحة كبيرة ، واقتلعها من جذورها ، وطرحها أرضاً على الضفّة فحالت

بينه وبين الموج .

على أن تلك الدوحة الممدّدة على محاذاة النهر ، لم تقف جَرَيان الماء إلا قليلاً ، فعاد مندفعاً وراء " أخيل " وهو هارب إلى السهل فى خُطُوات جبّار .

ولما أدركه الموج وكاد يجرفه فى طيّاته ، تضَّرع إلى الآلهة ، وتوسّل إليها أن تخِفّ إلى نجْدته . فسمعت الرّبة " مينرفا " دعاءه ، وكانت له نِعْمَ الشّفيع ، فرضيت الآلهة أن يَدْحَر الطّرواديّين مرّة أخرى ويهزمهم حتى أسوارهم .

وكان " فريام " الملك الشيخ يشْهد من فوق الأسوار هَجَمات " أخيل" العجيبة وحُسْن بَلائه فى المعارك ، فيَقْدُره قدْره ، ويْأسى على العدد الكبير من ضحاياه ، ثم رآه يقترب إليه فى عُدّةٍ كاملة من السلاح ، تتلألأ تلألؤ الكوكب الدرّىّ فى الليل البهيم ، وهاله أن يرى إذ ذاك ابنه " هكطور " يتأهب إلى لقاء ذلك البطل الذى لا يُقْهَر ، ويستعدّ لأن يخوض معه معركة لا تَرْحَم ، فمدّ الملك السيخ يديه إلى ولده وقال له مسترحماً :

– " إيه " هكطور " يا ولدى الحبيب ! أتوسّل إليك ألاّ تمضى إلى لقاء هذا الرجل ونِزاله ، فهو أقوى منك " .

بَيْد أن " هكطور " كان يتحرّق شوقاً إلى منازلة خَصْمه العنيد ، ثابت الجَنان رابط الجأش ، لا يعرف الخوف إلى قلبه سبيلاً .



وحاولت أمّه أيضاً أن تَثْنِيهَ عن عومه ، ودموعُها تتساقط على خدَّيْها ، وتتوسل إليه أن يجنّب نفسه مِيتةً شنيعة ، فذهب كلامها وكلام زوجها من قبل ، سدًى على غير طائل .

واستند " هكطور " إلى جدار سُور من الأسوار ، مُشْرَعَ الرُّمحْ والتُّرس، وانتظر قدوم " أخيل " قتّال الرجال .

والتقى البطلان أخيراً وجهاً لوجه ، وكلٌّ منهما مُدجَّج بالسلاح ، وسدَّد " أخيل " فى تلك اللحظة حربته إلى خصمه ، فانطلقت تَصْفِر صفير الرياح ، وتستقرّ فى عُنُق البطل " هكطور " .

وانصرفت عندئذ الآلهة عن البطل " هكطور " فخَرَّ مُضرَّجاً بدمائه تحت أسوار " طروادة " وأسلم الروح .

وهكذا انتهت المعركة .

احتفل الإغريق بالنصر أيَّما احتفال ، وأقاموا الولائم ، واستمرُّوا اثنى عشر يوماً فى أفراح موصولة ، ومباهج لاتنقطع ، وبقيت جثّة " هكطور" طول هذه المدة معروضةً فى العَراء ، معرَّضةً للرياح السَّافيات ، يأبى أعداؤها أن يدفنوها ويُهيلوا عليها التراب .

وربطها الإغريق فى آخر الأمر إلى مركبة " أخيل " ، وطارت بها الجياد المطهّمة إلى السفن ، تكنُس بها الأرض ، وتُثِير من حولها الغُبار . وكانت أمّ البطل القتيل وزوجته تشهدان من أعالى الأسوار هذا المشهدَ المُفْجِع الأليم ، فتذوب نفساهما حَسَرات ، وتتمزّق منهما

الجَوانح ، وتدور بهما الأرض فتقعان مَغْشِيًّا عليهما .

وقرّ قرار الملك " فريام " بعد هذه المأساة أن يذهب إلى معسكر الإغريق ، وهنا انطرح على قدمى " أخيل " وقبّل يديه التى قتلتا ولده وفِلْذة كَبِده ، وابتهل إليه أن يسلمه جثة ابنه بعد أن ساموها الخِسْف والهَوان .

وتذكّر " أخيل " آلامه المبرّحة ، فأثّر فيه كلام الوالد الشيخ ، ورضى أن يسلمه جثة ولده ، على أن يفتديها بفِدْية سنيّة .

وتمَّ للأب الشيخ ما أراد ، فاحتفل أهل " طروادة " بتشييع جنازة بطلهم الأكبر " هكطور " ، بين الحفاوة الجليلة وأنين النائحات .

ولم تكفّ أمّه عن النحيب والبكاء ، فقد كانت تُؤْثِره على بنيها جميعاً ، وتخصّه بالمَزِيد من حبّها وعطْفِها ، ولا كفَّتْ زوجته " أندروماك" عن ذرْف العَبَرات ، وهى تعتمدُ بين يديها رأس زوجها الحبيب .

واشتركت " هيلانة " أيضاً فى هَوْل الفجيعة ، فقالت تَرْثيه وقد عَصف بفؤادها الألم والنَّدم :

- " يا أعزّ الإخوة والأنسباء ! يا مِثال النُّبْل ومكارم الأخلاق ، طيَّبت الآلهة ثَراك جزاء ما شملتَنى به من عطف ومودّة ، فما انفرجت شفتاك قطّ عن كلمة قاسية ترمينى بها ، بل كنت على العكس تستوحى قلبك الكريم، وتد فع عنى لَوْم اللوّام وعتاب العاتبين ، فَمنْ يحمينى

بعدك يا " هكطور " ؟ ! ومَنْ يدفع عنى غوائل الأذى ؟ ! ومَنْ يخصّنى بعد اليوم بشعور المحبة والحنان ؟ ! إن شعبك بأسْره لن يرحَمنى بعد نَواك يا صديقى الوحيد ! " ثم وضع القوم جثّة " هكطور " فوق مَحْرقَة عالية عريضة ، فلما أتى اللّهَب على الجثّةِ ، أقبل أهله يجمعون عِظامه ، ويُودِعُونها فى جَرّةً ثمينة دفنوها فى حُفْرة عميقة ، وأقاموا فوقها ضريحاً فَخْمًا من الحجر الصَّخْم ، حتى يعرِف كل من يَمُرّ بذلك الضريح ، أن مَنْ يرقُدُ تحت جَلامِده بطل كريم شجاع .

* * *

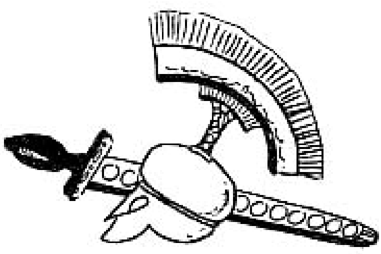
إن الحرب بين الإغريق والطّرواديّين لم تنته مع هذا ، فلبعد قليل يموت " أخيل " بسَهْم يسدّده إليه " فاريس " فيُرْدِ به قتيلاً ، ويموت بعده " فاريس " نفسه بسَهْم مسموم يصيبه عَرضاً ، ويُطْلِقه فى جُنْح الظلام ، رجا أبْرص طرده الإغريق من معسكرهم . وبينما كان الثلج ينهمر فوق قِمّة جبل " إيدا " ومُنْحَدره وسَفْحه ، ينقلب " فاريس " ميّتًا بين ذراعى زوجته " هيلانة " الحسناء متأثّراً بجراحه .

ثم يجىء اليوم الذى يَحْرُق الإغريق فيه معسكرهم ، ويرحلون عَبْر البحر الواسع راجعين إلى أوطانهم .

غير أنهم تركوا وراءهم حصاناً ضَخْماً من الخشب ، فجَرَّه أهل " طروادة " إلى مدينتهم ، مبتهجين بهذا السَّلَب الثمين ، ناظرين

إليه على أنه دليل النَّصر المبين ، وكان قد اختبأ فى جوف هذا الحصان، نَفَرٌ من أشجع المقاتلين الإغريق ، وأشدَّهم بأساً ، وأرْماهم للسهام ، فلما جُنّ الليل ، وشُغِل الطّرواديّون بأعيادهم وأفراحهم ، خرج الإغريق من مخبئهم ، واستولَوْا على الأبواب وفتحوها لرفقائهم ، فحصدوا الأعداء حَصْداً ، ولم يَبْق فى مدينة " طروادة " بعد ذلك ، إلا أطلال حزينة ، ورماد مُبَعْثَر ، وآثار دماء سالت على وجه الثَّرى .

ورعى القَدَر " هيلانة " الجميلة ، فلم تَهْلك مع الهالكين ، فرجَعَت فى صُحْبة " منيلاوس " إلى بلدها ، وتبوّأت معه عرش " إسبرطة "، وعاشت فيها هانئة سعيدة ، وهى التى هلكك من أجلها العديد من الرجال، واضمحلَّتْ بسببها مدينة " طروادة " العظيمة ، وأصبحت أثراً بعد عَيْن . . .



رقم الإيداع	٢٠٠٥/٢١٧٠٦
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-6875-5

٧/٢٠٠٥/٥٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

أولادنا

مجموعة طريفة يختص كل كتاب منها بقصة واحدة تفيض بالمغامرات والحوادث العجيبة المملوءة بآيات البطولة والشجاعة والإقدام .

صدر منها :

١ - عمرون شاه .
٢ - مملكة السحر .
٣ - كريم الدين البغدادى .
٤ - آلة الزمن .
٥ - الأمير والفقير .
٦ - كتاب الأدغال .
٧ - بينوكيو .
٨ - نبوءة المنجم .
٩ - روبن هود .
١٠ - دون كيشوت .
١١ - ايفنهو .
١٢ - جزيرة الكنز .
١٣ - كنوز الملك سليمان .
١٤ - سجين زندا .
١٥ - الزنبقة السوداء .
١٦ - مون فليت .
١٧ - مقبرة الأفيال .
١٨ - الربان بلود .
١٩ - تيودورا .
٢٠ - أوليفر تويست .
٢١ - دافيد كوبر فيلد .
٢٢ - فى مهب الريح .
٢٣ - الفخ الذهبى .
٢٤ - حصان طروادة .
٢٥ - عودة المحارب .
٢٦ - نساء صغيرات .
٢٧ - توم سوير .
٢٨ - الأربعة الذين سرقوا الزمن .
٢٩ - الربان الجرىء .
٣٠ - العم نعناع .
٣١ - أم حنان .
٣٢ - كوخ العم توم .
٣٣ - سميراميس .
٣٤ - بامبى .
٣٥ - صديقى فوق الشجرة .
٣٦ - الطفلة المدللة .
٣٧ - الأرض الغامضة .
٣٨ - مولد بطل .
٣٩ - رحلة فى عالم مجهول .
٤٠ - سندريلا تعود .
٤١ - غدا .. سأغنى مرة أخرى .
٤٢ - جليلة وحسان اليمانى .
٤٣ - معروف فى بلاد الفلوس .
٤٤ - عميل فى المصيدة .
٤٥ - منيرة وقطتها شمسة .

دار المعارف